بيان فضل علم السلف على علم الخلف

للحافظ ابن رجب الحنبلي

(٧٣٦ - ٧٩٥هـ)

رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق

محمد بن ناصر العجمي

دار البشائر الإسلامية

بيان

فضل علم السلف على علم الخلف

للحافظ ابن رجب الحنبلي
رحمه الله تعالى
(٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)

حققه وعلق عليه
محمد بن ناصر العجمي

دار البشائر الإسلامية

بيان

فضل علم السلف

على علم الخلف

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــدِيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِ الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إلٓه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

أمـا بـعـد:

فهذه رسالة للإمام الجليل ابن رجب، رحمه الله، نقدمها اليوم في ثوب جديد قشيب، وقد عُرف هذا الإمام بعلمه الواسع، ورأيه السديد، وتمكُّنه من علوم الشريعة الإسلامية على اختلاف فنونها ومواردها، وهذه الرسالة من آثاره الطيبة المثمرة، وهي مع صغر حجمها مفيدة نافعة في بابها، وتشتمل هذه الرسالة على جملة من الفرائد التي لا يستغني عنها طالب علم. وقد شرح فيها

المصنف، رحمه الله تعالى، حديث النبي ﷺ **«اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع...»** وبيَّن فيها أنواع العلم النافع، وفَصَّل في ذلك أحسن تفصيل، ومما يدل على فائدة هذه الرسالة ومكانتها أنه قد ذكرها ونقل عنها غير واحد من أهل العلم، نذكر منهم من وقفنا على قوله:

١ ـ الحافظ ابن عبد الهادي المبْرَد في **«الذيل على طبقات الحنابلة»** (ص ٥٠).

٢ ـ العلاَّمة المناوي في كتابه **«فيض القدير»**، فقد اقتبس طائفة من أقوال ابن رجب منها كلامه على حديث: «العلم ثلاثة...» (٤/ ٣٨٧). وانظر المواضع الباقية (١/ ٣٤٨، ٦/ ٨٠).

٣ ـ الرحَّالة المحدِّث محمد بن سليمان الروداني في **«صلة الخلف بموصول السلف»** (ق ١٢٠).

٤ ـ الشيخ ابن حميد الحَنْبَليّ النجدي في كتابه **«السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة»** (ص ١١٧).

٥ ـ الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في **«تيسير العزيز الحميد»** (ص ٤٤٨، ٤٤٩)، في أثناء كلام له حول النجوم.

هـذا ولا أطيـل عـلى القـارىء في الكـلام على هـذه الرسالة وبيان أهميتها، فإنه سيجد فيها أكثر مما وَصَفْتُ، وإنما هـذا للتعريف بهـا، وإني لأرجـو مـن أخٍ استفـاد مـن هـذه الرسـالة أن يدعوا لمصنّفهـا ولمن قـام بتحقيقهـا، والله المـوفـق.

• • •

ترجمة المؤلف
(نبذة مختصرة)

* اسمه ونسبه:

هو زين الدِّين عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود السلامي البغدادي ثُمَّ الدِّمشقي الحَنْبَليّ، الشهير بـ (ابن رجب). وُلد ابن رجب في بغداد سنة ٧٣٦هـ.

* مشايخه:

أول مشايخه والده الشيخ شهاب الدِّين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن، وقد كان عالماً صالحاً، وهذا ذكر بعض مشايخه:

١ ـ القاضي أبو العباس أحمد بن الحسن بن عبد الله، المشهور بابن قاضي الجبل، المتوفى سنة ٧٧١هـ.

٢ ـ صلاح الدِّين، أبو سعيد خليل بن كيكلدي العلائي، المتوفى سنة ٧٦١هـ.

٣ ــ جمال الدِّين، أبو سليمان داود بن إبراهيم العطار، المتوفى سنة ٧٥٢هـ.

٤ ــ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بابن الخبازي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ.

٥ ــ شمس الدِّين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ.

٦ ــ صدر الدِّين، أبو الفتح محمد بن إبراهيم الميدومي، المتوفى سنة ٧٥٤هـ.

٧ ــ فتح الدِّين، أبو الحرم، محمد بن محمد بن محمد القلانسي الحَنْبليّ، المتوفى سنة ٧٦٥هـ. وغيرهم.

* تلاميذه:

تتلمذ على الحافظ ابن رجب جمع ليس بالهيِّن، ونذكر جملة منهم:

١ ــ أحمد بن أبي بكر بن أحمد الحموي الأصل الحلبي الحَنْبليّ ويعرف بابن الرسام، المتوفى سنة ٨٤٤هـ.

٢ ــ داود بن سليمان بن عبد الله الموصلي ثُمَّ الدِّمشقي الحَنْبليّ، المتوفى سنة ٨٤٤هـ.

٣ ـ عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عياش الزين الدِّمشقي الأصل المكي، المتوفى سنة ٨٥٣هـ.

٤ ـ الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الزين أبو ذر المصري الحَنْبليّ ويعرف بالزركشي، المتوفى سنة ٨٤٦هـ.

٥ ـ علي بن محمد بن علي الطرسوسي المزيِ، المتوفى سنة ٨٥٠هـ تقريباً.

٦ ـ علي بن محمد بن علي البعلي ثُمَّ الدِّمشقِي الحَنْبليّ علاء الدِّين أبو الحسن المعروف بابن اللحام، وكان أقرب تلاميذه إليه، توفي سنة ٨٠٣هـ.

٧ ـ عمر بن محمد بن أبي بكر السراج أبو حفص الحلبي ويعرف بابن المُزَلِّق، المتوفى سنة ٨٤١هـ. وغيرهم.

*** ثناء العلماء عليه:**

قد أثنى عليه كل من ترجم له ثناءً عاطراً وإليك ذكر بعض تلك الأقوال في حقه، رحمه الله:

قال ابن حجي: «أتقن الفن، وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبُّع الطرق».

وقال ابن فهد المكي: «الإمام الحافظ الحجة، والفقيه العمدة، أحد العلماء الزهَّاد، والأئمة العبَّاد، مفيد المحدثين، واعظ المسلمين».

وقال أيضاً: «كان رحمه الله تعالى إماماً ورعاً زاهداً مالت القلوب بالمحبة إليه، وأجمعت الفرق عليه، كانت مجالس تذكيرة الناس عامةً نافعة وللقلوب صادعة».

وقال الحافظ ابن حجر: «الشيخ المحدِّث الحافظ».

وقال أيضاً: «وكان صاحب عبادة وتهجُّد...».

وقال ابن عبد الهادي المِبْرد: «الشيخ الإمام، أوحد الأنام، قدوةُ الحفَّاظ، جامع الشتات والفضائل».

وقال أيضاً: «الفقيه الزاهد البارع الأصولي المفيدُ المحدِّث».

وقال تلميذه علاء الدِّين ابن اللحام: «سيدنا وشيخنا الإمام العلاَّمة الأوحدُ الحافظ شيخ الإسلام، مجلِّي المشكلات، وموضح المبهمات...».

وقال أيضاً: «شيخنا الإمام العالم الحافظ بقية السَّلف الكرام، وحيدُ عصره، وفريدُ دهره شيخ الإسلام زين الدِّين، أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ـ رحمه الله تعالى وعفا عنه برحمته ـ».

وقال ابن قاضي شهبة: «الشيخ الإمام العلاَّمة الحافظ الزاهد الورع شيخ الحنابلة وفاضلهم، أوحدُ المحدِّثين. . .».

وقال السيوطي: «الإمام الحافظ المحدِّث الفقيه الواعظ».

وقال عنه ابن ناصر الدِّين الدمشقي: «الشيخ الإمام العلاَّمة الزاهد القدوة، البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة واعظ المسلمين مفيد المحدِّثين».

وقال العليمي: «هو الشيخ الإمام، الحبر البحر الهمام، العالم العامل، البدر الكامل، القدوة الورع الزاهد، الحافظ الحجة الثقة، شيخ الإسلام والمسلمين، وزين الملة والدِّين، واعظ المسلمين، مفيد المحدِّثين، جمال المصنفين».

وقال ابن العماد: «الشيخ الإمام العالم العلاَّمة، الزاهد القدوة البركة، الحافظ العمدة، الثقة الحجة، الحنبلي المذهب».

وقال ابن العماد أيضاً: «وكان لا يعرف شيئاً من أمور الناس، ولا يتردد إلى أحد من ذوي الولايات، وكان يسكن بالمدرسة السكرية بالقصاعين».

* مـؤلـفـاتـه:

قال ابن فهد: «له المؤلفات السديدة والمصنفات المفيدة».

وقال ابن العماد الحنبلي: «وله مصنفات مفيدة ومؤلفات عديدة». اهـ.

* كتبه في الفقه:

١ ـ الأحاديث والآثار المتزائدة في أن الطلاق الثلاث واحدة.

٢ ـ أحكام الخواتيم وما يتعلق بها، مطبوع.

٣ ـ إزال الشنعة عن الصلاة بعد النداء يوم الجمعة.

٤ ـ الاستخراج لأحكام الخراج، مطبوع.

٥ ـ الإيضاح والبيان في طلاق كلام الغضبان.

٦ ـ الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة.

٧ ـ القواعد الكبرى في الفروع، مطبوع، وقال عنه الحافظ ابن حجر: «أجاد فيه». وقال ابن قاضي شهبة: «مجلد كبير، وهو نافع من عجائب الدهر حتى أنه استُكثِر عليه، حتى زعم بعضهم أنه وجد قواعد مبددة لشيخ الإسلام ابن تيمية فجمعها، وليس الأمر كذلك بل كان رحمه الله تعالى فوق ذلك».

٨ ـ قاعدة غمّ هلال ذي الحجة، مطبوع.

٩ ـ القول المعذاب في تزويج أمهات أولاد الغياب.

١٠ ـ الكشف والبيان عن حقيقة النذور والأَيْمان.

١١ ـ منافع الإمام أحمد.

١٢ ـ نزهة الأسماع في مسألة السماع، مطبوع.

* كتبه في علوم القرآن:

١ ـ إعراب البسملة.

٢ ـ إعراب أم الكتاب.

٣ ـ الاستغناء بالقرآن.

٤ ـ تفسير سورة الفاتحة.

٥ ـ الكلام على سورة الإخلاص[١].

٦ ـ الكلام على سورة النصر[١].

* كتبه في الحديث:

١ ـ اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملإ الأعلى. مطبوع[٢].

٢ ـ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. مطبوع.

٣ ـ الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة». مطبوع.

---

(١) وقد حققت هاتين الرسالتين وطبعتهما الدار السلفية بالكويت سنة ١٤٠٧هـ.

(٢) وقد حققه أخي جاسم الفهيد ـ حفظه الله وأولاه ـ وهو من مطبوعات دار الأقصى بالكويت.

٤ ـ شرح حديث: «إن أغبط أوليائي عندي».

٥ ـ شرح حديث شداد بن أوس: «إذا كنز الناس الذهب والفضة».

٦ ـ شرح حديث عمار بن ياسر: «اللهم بعلمك الغيب». مطبوع.

٧ ـ شرح حديث: «ما ذئبان جائعان...» ويسمى أيضاً: «ذم الجاه والمال». مطبوع.

٨ ـ شرح حديث: «لبيك اللَّهم لبيك».

٩ ـ شرح حديث أبي الدرداء: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً...». مطبوع.

١٠ ـ شرح حديث: «يتبع المؤمن ثلاثة». مطبوع.

١١ ـ شرح حديث: «مثل الإسلام».

١٢ ـ شرح جامع الإمام الترمذي ويقع في نحو عشرين مجلداً كما ذكر الحافظ ابن حجر، والموجود منه شرح العلل وهو مطبوع.

١٣ ـ غاية النفع في شرح حديث: «تمثيل المؤمن بخامة الزرع». مطبوع.

١٤ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شرح قطعة منه، قال عنه ابن ناصر الدين الدمشقي: «وشرح من أول صحيح البخاري إلى الجنائز شرحاً نفيساً».

١٥ ـ كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة، وهو شرح حديث: «بدأ الإسلام غريباً...». مطبوع.

١٦ ــ المحجة في سير الدلجة، وهو شرح حديث: «لن ينجي أحداً منكم عمله». مطبوع.

١٧ ــ نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس وهو شرح حديث: «احفظ الله يحفظك...»[١].

* كتبه في التاريخ:

١ ــ الذيل على طبقات الحنابلة. مطبوع.

٢ ــ سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز. مطبوع.

٣ ــ مختصر سيرة عمر بن عبد العزيز. مطبوع.

٤ ــ وقعة بدر.

* كتبه في الوعظ والفضائل:

١ ــ إستنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس. مطبوع.

٢ ــ الاستيطان فيما يعتصم به العبد من الشيطان.

٣ ــ الإلمام في فضائل بيت الله الحرام.

٤ ــ أهوال القبور. مطبوع.

٥ ــ البشارة العظمى في أن حظَّ المؤمن من النار الحمى.

---

(١) حققت هذا الكتاب وطبع في دار البشائر الإسلامية ــ بيروت سنة ١٤٠٧هـ.

٦ ــ بيان فضل علم السلف على علم الخلف. (وهو كتابنا هذا).

٧ ــ التخويف من النار. مطبوع.

٨ ــ تسلية نفوس النساء والرجال عن فقد الأطفال.

٩ ــ الذل والانكسار للعزيز الجبار، طبع بعنوان: «الخشوع في الصلاة».

١٠ ــ ذم الخمر.

١١ ــ صفة النار وصفة الجنة.

١٢ ــ الفرق بين النصيحة والتعيير. مطبوع.

١٣ ــ فضائل الشام.

١٤ ــ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها. مطبوع.

١٥ ــ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف. مطبوع. قال عنه الحافظ ابن حجر: «واللطائف في وظائف الأيام بطريق الوعظ، وفيه فوائد».

* وفاته:

يقال: إنّ هذا الإمام جاء إلى حفّار فقال له: احفر لي هنا لحداً وأشار إلى بقعةٍ فقال الحفّار: فحفرت له، فنزل فيه فأعجبه واضطجع فيه، وقال: هذا جيد. فمات بعد أيام فدفن فيه وذلك في شهر رجب من سنة ٧٩٥هـ. رحمه الله رحمة واسعة.

* **مصـادر ترجمتـه:**

١ ـ إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ٤٦٠) للحافظ ابن حجر.

٢ ـ والدرر الكامنة (٢/ ٣٢١) له أيضاً.

٣ ـ الرد الوافر (ص ١٠٦) لابن ناصر الدين الدمشقي.

٤ ـ لحظ الألحاظ (ص ١٨٠) لابن فهد المكي.

٥ ـ طبقات الحفاظ (ص ٥٣٦) للسيوطي.

٦ ـ الشهادة الزكية (ص ٤٩) للكرمي.

٧ ـ شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩) لابن العماد الحنبلي.

٨ ـ البدر الطالع (١/ ٣٢٨) للشوكاني.

٩ ـ الجوهر المنضد (ص ٤٦) لابن عبد الهادي المبرد.

١٠ ـ السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (ص ١١٧ ـ ١١٨ ـ مصورة مكتبة خدابخش بتنه بالهند) لابن حميد النجدي ثُمَّ المكي.

١١ ـ هدية العارفين (١/ ٥٢٧، ٥٢٨) للبغدادي.

١٢ ـ الدارس في أخبار المدارس (٢/ ٧٦) للنعيمي.

١٣ ـ فهرس الفهارس (٢/ ٦٣٦) للكتاني.

١٤ ـ الأعلام (٤/ ٦٧) للزركلي.

١٥ ـ معجم المؤلفين (٥/ ١١٨) لرضا كحالة.

١٦ ـ العلل في الحديث (ص ٢٢٧ ـ ٢٥٦) للدكتور همام سعيد.

وصف نسخ الكتاب

إعتمدت في تحقيقي لهذه الرسالة على أربع نسخ خطية ومطبوعة:

١ ـ مصوَّرة عن نسخة مكتبة تشستربتي ضمن مجموعة كتب تحت رقم (٣٢٩٢) وتقع في ثماني عشرة ورقة، يتراوح عدد الأسطر فيها ما بين (١٦) و (١٧) سطراً، كُتبت بخط النسخ المعتاد، وقد فات الناسخ أن يكتب اسمه وسنة النسخ، وهي نسخة جيدة، وقد رمزتُ لها بحرف (ش).

٢ ـ مصوَّرة عن نسخة مكتبة الفاتح باستنبول ضمن مجموع لابن رجب برقم (٥٣١٨)، ويقع هذا المجموع في ٢٧٥ ورقة، وهذه الرسالة فيه من ١٥٤ ـ ١٧٠، وهو منسوخ بخط عيسى بن علي بن محمد الحمداني الشافعي، وقد فرغ من نسخه في شهر ربيع الأول من شهور سنة ثلاث

وتسعين وثمان مئة، وهو مجموع جيد الخط، ورمزتُ لهذه النسخة بحرف (ف).

٣ ـ مصوَّرة عن نسخة مكتبة جامعة الملك سعود المركزية ـ بالرياض سابقاً، وهي برقم (١٦٣٧/ ٧ ضمن مجموع) تقع في تسع عشرة صفحة، ويتراوح عدد الأسطر فيها ما بين (٢٤) و (٢٧) سطراً، كُتبت بخط نسخي معتاد، والناسخ هو عبد الله بن إبراهيم الربيعي نسخها سنة ١٣٣٣هـ، وأرمزُ لها بحرف (ض).

٤ ـ مصوَّرة عن نسخة مكتبة الأوقاف العراقية، وهي برقم (١٣٨٠٩)، وتقع في إحدى عشرة ورقة، ويتراوح عدد الأسطر فيها ما بين (١٩) و (٢١) سطراً، وخطها نسخي معتاد إلاَّ أن فيها بعض التصحيفات والأغلاط، ورمزتُ لها بحرف (ع).

أما المطبوعة فقد طبعت في مكتبة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٤٨هـ والخطأ فيها ليس بكثير.

● ● ●

عملي في التحقيق

١ ـ إتخذتُ نسخة تشستربتي أصلاً للتحقيق، لأنها أصحّ النسخ التي وقفتُ عليها، على ما فيها من أغلاط يسيرة، ولم أُنبِّه على جميع الفروق الواردة في النسخ، حتى لا أطيل حواشي الكتاب بما لا فائدة منه في الغالب.

٢ ـ عزوتُ الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم.

٣ ـ خَرَّجتُ الأحاديث النبوية، وما كان منها في غير الصحيحين تكلَّمتُ عليه من حيث الصحة أو الضعف طبقاً لقواعد مصطلح الحديث، مستنيراً بأقاويل جهابذة الحديث ونقاده، فإنهم المقتدى بهم في هذا الباب والمعول عليهم فيه.

٤ ـ خَرَّجتُ معظم الآثار، ولم أشترط الكلام عليها من حيث الصحة أو الضعف، وذلك لأسباب، منها: أني لم أقف على تراجم بعض رواة هذه الآثار.

٥ ـ عَلَّقْتُ بما رأيت من الواجب التعليق عليه، ولم أتوسَّع في ذلك خشية الإطالة، للإستفادة من نص الكتاب.

٦ ـ صَنَعْتُ بعض الفهارس للكتاب.

وأسأل الله العظيم أن يتقبل مني عملي هذا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم لا رياء فيه ولا سمعة، والحمد لله رب العالمين.

محمد بن ناصر العجمي

الكويت ـ الجهراء المحروسة ـ
في غرة شوال سنة ١٤٠٣هـ.

الوجه الأول من الورقة الأولى من نسخة (ش)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم
تسليما كثيرا أما بعد فهذه كلمات مختصرة في معنى العلم وانقسامه
إلى علم نافع وعلم غير نافع والتنبيه على فضل علم السلف على علم الخلف
فلا حول ولا قوة إلا بالله قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة
في مقام المدح وهو العلم النافع وذكر العلم تارة في مقام الذم وهو
العلم الذي لا ينفع فأما الأول فمثل قوله تعالى قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله شهد الله أنه لا إله
إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط وقوله وقل رب
زدني علما وقوله إنما يخشى الله من عباده العلماء وما قص سبحانه
من قصة آدم وتعليمه الأسماء وعرضهم على الملائكة وقولهم
سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم وما قص سبحانه
من قصة موسى عليه السلام وقوله للخضر هل أتبعك على أن
تعلمن مما علمت رشدا فهذا هو العلم النافع وقد أخبر عن
قوم أنهم أوتوا علما ولم ينفعهم علمهم فهذا علم نافع في نفسه لكن
صاحبه لم ينتفع به وقال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها
كمثل الحمار يحمل أسفارا وقال واتل عليهم نبأ الذي آتيناه

اليها

وهو لا يحصى نصيب من الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم
عن الآخرة هم غافلون لما لهم على هذا من شدة محبتهم
للدنيا وعلوها ولو أنهم زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة
ونصحوا أنفسهم وعباد الله ليتمسكوا بما أنزل الله على
رسوله والزموا الناس بذلك وكان الناس حينئذ لا
يخرجون عن التقوى وكان يلقنهم ما في نصوص الكتاب
والسنة ومن خرج منهم عنهما كان قليلاً ولو كان لأمر يقتضي
من يعلمه من معاني النصوص ما يرد به الخارج عنها إلى
الرجوع إليها ويستغني بذلك عما أحدثوه من الفروع
الباطلة والحيل المحرمة التي يفتحوا بها أبواب الربا وغيره
من المحرمات واستحلت محارم الله بأدنى الحيل كما فعل
أهل الكتاب فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق
بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

وحسبنا الله ونعم الوكيل

يلوح الخط في القرطاس دهراً وكاتبه رميم في التراب
خرجت من التراب بغير ذنب وعدت مع الذنوب إلى التراب

حشرنا الله في زمرة أوليائه في دار
كرامته بمنه وكرمه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن يا كريم
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين
وسلم تسليما كثيرا أما بعد فهذه كلمات مختصرة في
معنى العلم وانقسامه إلى علم نافع وعلم غير نافع والتنبيه
على فضل علم السلف على علم الخلف فنقول وبالله المستعان
ولا حول ولا قوة إلا بالله قد ذكر الله في كتابه العلم
تارة في مقام المدح وهو العلم النافع وذكر العلم
تارة في مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع فأما الأول
فمثل قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون وقوله شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة
وأولو العلم قائما بالقسط وقوله وقل رب زدني
علما وقوله إنما يخشى الله من عباده العلماء وما قص
سبحانه من قصة آدم وتعليمه الأسماء وعرضهم على الملائكة
وقولهم سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم
الحكيم وما قص سبحانه من قصة موسى عليه السلام
وقوله للخضر هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا
فهذا هو العلم النافع وقد أخبر عن قوم أنهم أوتوا
علما ولم ينفعهم علمهم فهذا علم نافع في نفسه لكن صاحبه
لم ينتفع به قال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم

يحملوها

صورة الصفحة الأولى من نسخة (ض)

[illegible]

له [illegible] المنزلة [illegible] فإن الله سبحانه يعطيه المنزلة

[illegible] وإن كان لا يريدها ولا يقف معه بل يهرب منه أشد الهرب [illegible] خشية أن يقطعه الخلق عن الحق عز وجل قال الله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا أي في قلوب عباده وحديث إن الله إذا أحب عبدا نادى يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم يحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض حديث معروف وهو مخرج في الصحيح وبالجملة فطلب الآخرة يحصل معه شرف الدنيا وإن لم يرده صاحبه ولم يطلبه وطلب شرف الدنيا مع شرف الآخرة لا يجتمع معه والسعيد من آثر الباقي على الفاني كما في حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى خرجه الإمام أحمد وغيره

وما أحسن ما قال أبو الفتح البستي

أمران مفترقان لست تراهما ... يتشوقان لخلطة وتلاقي

فاطلب لنفسك ما استطعت بلاغها ... طلب المعاد مع الرياسة والعلا

فدع الذي يفنى لما هو باقي

تم كتاب ذم المال والجاه لابن رجب رحمه الله والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ويتلوه كتاب العلم النافع وغير النافع للمؤلف المذكور، تم ذلك في ١٧ رجب ١٣٣٣ [illegible]

بلغ

هذه النسخة في معنى العلم النافع وغير النافع [illegible]

نافع [illegible] للعلامة عبد الرحمن بن رجب الحنبلي [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا أما بعد فهذه كلمات مختصرة في معنى العلم [illegible] من [illegible]

[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة (ض)

من استقر [illegible] يكفيه ما في نصوص الكتاب والسنة ومن فرح
[illegible] من [illegible] مسائل النسخ يميز
[illegible] [illegible] لديه ومن
[illegible] تحت ابواب الربا وغيرها
من القربات واستحلت محارم الله بادنى الحيل كما فعلته اهل الكتاب
وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم
وحسبنا الله ونعم الوكيل. تم بحمد الله وحسن توفيقه كتاب معرفة
العلم النافع وغير النافع ويليه ان شاء الله كتاب نور الاقتباس في
مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس وذلك في يوم بلغ
اثنين وعشرين من رجب [illegible] في [illegible] من ارض نجد بقلم عبدا
[illegible] ابراهيم بن [illegible] السهجي كتبه لنفسه علمه مولاه ما ينفعه
ونفعه بما علمه فهو المعطي والمانع والموفق والهادي لا خير الا خيره
كما انه لا معبود بحق غيره
اللهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

كتاب نور الاقتباس في مشكاة وصية
صلى الله عليه وسلم لابن عباس تصنيف الشيخ الامام العالم الحافظ
زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الصالح شهاب
الدين احمد بن رجب الحنبلي تغمده الله برحمته آمين
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى
وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على محمد النبي الامي
وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا اخرج الامام احمد من حديث حنش
الصنعاني

صورة الصفحة الأولى من نسخة (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا أما بعد
فهذه كلمات مختصرات في معنى العلم وانقسامه إلى علم نافع وعلم غير نافع والتنبيه
على فضل علم السلف على علم الخلف فنقول وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله قد
ذكر الله في كتابه العلم تارة في مقام المدح وهو العلم النافع وذكر العلم تارة في
مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع فأما الأول فمثل قوله تعالى قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وقوله شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم
قائما بالقسط وقوله رب زدني علما وقوله إنما يخشى الله من عباده العلماء وما
قص سبحانه من قصة آدم عليه السلام وتعليمه الأسماء وعرضهم على الملائكة وقولهم
سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم وما قص سبحانه من قصة
موسى عليه السلام وقوله للخضر هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا فهذا هو العلم
النافع وقد أخبر عن قوم أنهم أوتوا علما ولم ينفعهم فهذا علم نافع في نفسه لكن
صاحبه لم ينتفع به قال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل
أسفارا وقال تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان
فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه وقال
فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى الآية و
قال تعالى وأضله الله على علم وأما العلم الذي ذكره الله على جهة الذم فقوله في السحر
ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق وقوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقال يعلمون ظاهرا

من

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة (ع)

احدهما تحريف الكلم عن مواضعه والثاني نسيانهم حظاً مما ذكروا به والمراد تركهم حظاً عظيماً
نصيباً مما ذكروا به من الحكمة والموعظة الحسنة فنسوا ذلك وتركوا العمل به واهملوه
وهذان الامران يوجدان في الذين فسدوا من علماء المسلمين لمشابهتهم لاهل الكتاب
احدهما تحريف الكلم فان من تفقه لغير العمل يقسو قلبه فلا يشتغل بالعمل بل بتحريف
الكلم وصرف الفاظ الكتاب والسنة عن مواضعها والتلطف في ذلك بانواع
الحيل اللطيفة من حملها على مجازات اللغة المستبعدة ونحو ذلك والطعن في الفاظ
الكتاب ويذمون من تمسك بالنصوص واجراها على ما يفهم منها ويسمونه جاهلاً
وحشوياً وهذا يوجد في المتكلمين في اصول الديانات وفي فقهاء الرأي وفي صوفية
الفلاسفة والمتكلمين والثاني نسيان حظ مما ذكروا به من العلم النافع فلا تتعظ
قلوبهم بل يذمون من يتعلم ما يبكيه ويرق به قلبه ويسمونه قاصاً ونقل بعض اهل
الرأي في كتبهم عن بعض شيوخهم ان ثمرات العلوم تدل على شرفها فمن يشتغل بالتفسير
فغايته ان يقص على الناس ويذكرهم ومن يشتغل برأيهم في علمهم يفتي ويقضي ويحكم و
يدرس وهؤلاء لهم نصيب من الذين يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة
هم غافلون ولما ملكهم هذا المشار اليه محبتهم للدنيا وعلوها ولو انهم زهدوا في
الدنيا ورغبوا في الآخرة ونصحوا انفسهم وعباد الله لتمسكوا بما انزل الله على رسوله
والزموا الناس بذلك فكان الناس حينئذ الزموا يعجزون عن التعدي فكان
يكفيهم ما في نصوص الكتاب والسنة ومن خرج منهم عنها كان قليلاً فكان الله
يقيض من يفهم من معاني النصوص ما يرد به تخريج عنها الى الرجوع اليها ويستغني
بذلك عما ولدوه من الفروع الباطلة والحيل المحرمة التي بها فتح ابواب الربا
وغيره من المحرمات واستحلت المحارم بادنى الحيل كما فعل اهل الكتاب ويهدي الله
الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

بيان

فضل علم السلف

على علم الخلف

للحافظ ابن رجب الحنبلي

المتوفى سنة ٧٩٥هـ

رحمه الله تعالى

حققه وعلق عليه

محمد بن ناصر العجمي

دار البشائر الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فهذه كلمات مختصرة في معنى العلم، وانقسامه إلى علم نافع وعلم غير نافع. والتنبيه على فضل علم السلف على علم الخلف.

فنقول وبالله المستعان ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله:

قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة في مقام المدح، وهو العلم النافع، وذكر العلم تارة في مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع.

فأما الأول فمثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤]، وقوله:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨]، وما قص الله سبحانه من قصة آدم وتعليمه الأسماء وعرضهم على الملائكة وقولهم: ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٣٢]، وما قص الله سبحانه من قصة موسى عليه السلام وقوله للخضر: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦٦]، فهذا هو العلم النافع.

وقد أخبر عن قوم أنهم أوتوا علماً ولم ينفعهم علمهم. فهذا علم نافع في نفسه لكن صاحبه لم ينتفع به، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [الجمعة: ٥]، وقال: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ﴾ الآية [الأعراف: ١٦٩]، وقال: ﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وعلى تأويل من تأول الآية على علم عند من أضلّه الله.

وأما العلم الذي ذكره الله تعالى على جهة الذم له فقوله في السحر: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [غافر: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٧].

ولذلك جاءت السنَّة بتقسيم العلم إلى نافع[1] وغير نافع، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع، وسؤال العلم النافع.

ففي «صحيح مسلم» عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللّهُم إني أعوذُ بِكَ من عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ومن قلبٍ لا يَخْشَعُ، ومن نفسٍ لا تَشْبَعُ، ومن دعوةٍ لا يُسْتَجَابُ لَها**»[2].

---

(١) في (ض) والمطبوعة: «وإلى».

(٢) أخرجه أحمد (٤/٣٧١)، ومسلم (٤/٢٠٨٨)، والنسائي (٨/٢٦٠).

وخرَّجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي ﷺ، وفي بعضها: «ومن دعاءٍ لا يُسْمِع»[1].

---

(١) ورد هذا اللفظ عن جماعة من الصحابة:

١ ــ من حديث أنس وله عنه طريقان:

الأول: أخرجه أبو داود الطيالسي (١٢٨٢ ــ منحة)، وأحمد (٣/ ١٩٢، ٢٥٥)، وأبو يعلى في مسنده (ق ١٤١/ ٢)، وابن حبان (٢٤٤٠) «موارد»، وعبد الله بن عبد العزيز البغوي في زوائده على العلم لأبي خيثمة (١٦٥)، وابن عبد البر في الجامع (١/ ١٦١)، وإسناده صحيح.

الثاني: أخرجه ابن حبان (٢٤٤١)، وإسناده جيد.

٢ ــ من حديث عبد الله بن عمرو: أخرجه أحمد (٢/ ١٦٧)، والنسائي (٨/ ٢٥٤)، والحاكم (١/ ٥٣٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٦٢، ٥/ ٩٣)، وإسناده صحيح.

٣ ــ من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٠، ٣٦٥، ٤٥١)، وأبو داود (١٥٤٨)، والنسائي (٨/ ٢٦٣، ٢٨٤)، وابن ماجه (٣٨٣٧)، والآجري في أخلاق العلماء (ص ١٢٣)، والحاكم (١/ ١٠٤، ٥٣٤)، وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٤)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٨٨)، وابن عبد البر في الجامع (١/ ١٦١، ١٦٢)، وإسناده ضعيف فيه عباد بن سعيد مقبول كما في التقريب (يعني إذا توبع) =

وفي بعضها: «أَعُوذُ بِكَ من هؤلاءِ الأربع»[1].

= وإلاَّ فليّن كما نبه عليه الحافظ في مقدمة تقريبه)، وله طريق أخرى أخرجها النسائي: ٨/ ٢٨٤، وابن ماجه (٢٥٠)، وأبو يعلى (٢/ ٢٩٦)، والحاكم ١/ ١٠٤، وقال النسائي: «سعيد ـ يعني المقبري ـ لم يسمعه من أبي هريرة بل سمعه من أخيه عن أبي هريرة». اهـ.

وقد مر الكلام في عباد بن سعيد آنفاً وهو أخو سعيد المقبري.

(١) ورد هذا اللفظ عن جماعة من الصحابة أيضاً:

١ ـ من حديث عبد الله بن عمرو أخرجه الترمذي (٣٤٨٢)، وصححه وإسناده جيد، [وقد أجحف الحافظ حينما قال: في التقريب في أحد رواة هذا الحديث: «مقبول» وهو زهير بن الأقمر، فقد وثقه النسائي وابن حبان كما في التهذيب (١٢/ ٢١١)، والعجلي كما في ترتيب ثقاته للسبكي (ق ١١١/ أ).]

وله طريق أخرى أخرجها أحمد (٢/ ١٦٧، ١٩٨)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٦٢)، وإسنادها ضعيف فيها من لم يسم.

٢ ـ من حديث عبد الله بن أوفى أخرجه أحمد (٤/ ٣٨١)، من حديث طويل وإسناده صحيح.

٣ ـ من حديث أنس أخرجه أحمد (٣/ ٢٨٣)، والنسائي (٨/ ٢٦٣، ٢٦٤)، والحاكم (١/ ١٠٤)، والبيهقي في الشعب =

وخرَّج النسائي من حديث جابر أن النبي ﷺ كان يقول: «اللّهم إني أَسْأَلُكَ عِلماً نَافِعاً، وأَعُوذ بِك من علمٍ لا يَنفع»[1]

وخَرَّجَه ابن ماجه ولفظه أن النبي ﷺ قال: «سَلوا الله عِلماً نَافِعاً، وتعوذوا بالله من علمٍ لا ينفع»[2].

= (١/ ق ٣١١/ ب)، وإسناده حسن.

وله طريق أخرى أخرجها عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٤٣٩)، والبغوي في شرح السنَّة (٥/ ١٥٩)، وإسنادها ضعيف جداً فيها أبان ابن أبي عياش متروك.

(١) عزا المصنف ـ رحمه الله ـ هذا الحديث للنسائي وقد بحثت عنه أكثر من مرة في تحفة الأشراف فلم أجده، والحديث أخرجه ابن حبان (٢٤٢٦)، والطبراني في الأوسط كما في المجمع (١٠/ ١٨٢)، والآجري في الأخلاق (ص ١٢٣، ١٢٤). وإسناده حسن كما قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٨٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٣)، وأبو يعلى (١٠٨، ١/١١٦)، وأبو بكر الشافعي في فوائده (٨٣/أ)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ق ٣١٢/أ)، وابن عبد البر في الجامع (١/ ١٦٢)، وإسناده حسن وحسنه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٣١).

وخَرَّجَه الترمذي من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهم انفعني بما علمتني، وعَلمني ما ينفعني، وزِدني علماً»[1].

[وخَرَّجَ النسائي من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يدعو: «اللَّهم انفعني بما عَلمتني، وعلمني ما ينفعني، وارزقني علماً تنفعني به»[2]]

[وخَرَّجَ أبو نعيم من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهم إنَّا نَسأَلك إيماناً دائماً، فَرُب إيمان غير دائِم، وأسألك علماً نافعاً فَرُب علم غير نافع»[3]].

وخَرَّجَ أبو داود من حديث بريدة عن النبي ﷺ قال: «إن من البَيانِ سِحْراً[4]، وإنَّ من العلم جَهلاً»[5]. وإن

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٩٩)، وحسنه، وابن ماجه (٢٥١) و (٣٨٣٣)، وإسناده ضعيف، فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف ومحمد بن ثابت مجهول كما في التقريب.

(٢) بحثت عنه في تحفة الأشراف فلم أجده والله تعالى أعلم.

(٣) لم أعثر عليه.

(٤) وفي المطبوعة «السحراً» وهو خطأ.

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠١٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٥/ ١٨٠)، =

صعصعة بن صوحان فسر قوله: «إن من العلم جهلاً» أن يتكلف العالم إلى علمه ما لم يعلم فيجهله ذلك.

ويُفَسر أيضاً: بأن العلم الذي يضر ولا ينفع جهل لأن

= ١٨١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٨/ ١٥٤/أ)، وإسناده ضعيف فيه أبو جعفر النحوي عبد الله بن ثابت مجهول وصخر بن عبد الله مقبول كما في التقريب وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٣١): «وفي إسناده من يجهل» ولشطره الأول شاهد من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: «إن من البيان لسحراً» أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٨٦)، وأحمد (٢/ ١٦، ٥٩، ٦٢)، والبخاري (٩/ ٢٠١، ١٠/ ٢٣٧ ـ فتح)، وأبو داود (٥٠٠٧)، والترمذي (٢٠٢٨).

(فائدة): قال ابن التين ـ أحد شراح صحيح البخاري ـ: «البيان نوعان:

الأول: ما يبين به المراد، الثاني: تحسين اللفظ حتى يستميل قلوب السامعين، والثاني هو الذي يشبه بالسحر والمذموم منه ما يقصد به الباطل، وشبهه بالسحر لأن السحر صرف الشيء عن حقيقته». اهـ. من فتح الباري (٩/ ٢٠٢)، وانظر لشرح هذا الحديث أيضاً غير مأمور التمهيد لابن عبد البر (٥/ ١٧٠ ـ ١٨١).

الجهل[1] به خير من العلم به. فإذا كان الجهل به خيراً منه فهو شر من الجهل، وهذا كالسحر وغيره من العلوم المضرة في الدِّين أو في الدنيا.

وقد روى عن النبي ﷺ تفسير بعض العلوم التي لا تنفع.

ففي «مراسيل أبي داود» عن زيد بن أسلم قال: قيل يا رسول الله ما أعلم فلاناً! قال: «بم؟»، قالوا بأنساب الناس، قال: «**عِلْمٌ لا يَنفع وجهالة لا تضر**»[2].

وخَرَّجَه أبو نعيم في كتاب «رياضة المتعلمين» من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة مرفوعاً.

وفيه أنهم قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب، وأعلم الناس بالشعر، وبما اختلفت فيه العرب وزاد في آخره:

---

(١) سقطت من المطبوعة.

(٢) أخرجه أبو داود في المراسيل كما في تحفة الأشراف للمزي (١٣/ ١٩٧)، والسمعاني في الأنساب (١/ ٩، ١٠)، والمرسل من أقسام الحديث الضعيف كما هو مقرر في موضعه من كتب مصطلح الحديث.

«العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل: آية محكمة، أو سنَّة قائمة، أو فريضة عادلة»[1].

وهذا الإسناد لا يصح، وبقية دلسه عن غير ثقة.

وآخر الحديث خرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: **«العِلْمُ ثَلاَثَةٌ وما سوىٰ ذلك فهو فَضْل: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أو سُنَّةٌ قائِمَةٌ، أو فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ»**[2] وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وفيه ضعف مشهور.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢/ ٢٣)، وإسناده ضعيف كما قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ فإن بقية بن الوليد وابن جريج معروفان بالتدليس ولم يصرحا بالتحديث.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٨٥)، وابن ماجه (٥٤)، والدارقطني (٤/ ٦٧ ـ ٦٨)، وابن عبد الحكم في فتوح مصر (ص ٢٥٥، ٢٥٦)، والحاكم (٤/ ٣٣٢)، والبيهقي (٦/ ٢٠٨)، والبغوي في شرح السنَّة (١/ ٢٩١)، وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٢٣)، وإسناده ضعيف، فإن فيه عبد الرحمن بن زياد ضعيف في حفظه وكذلك فيه عبد الرحمن بن رافع ضعيف أيضاً كما في التقريب، والحديث ضعفه الحافظ الذهبي في تلخيصه على المستدرك (٤/ ٣٣٢).

وقد ورد الأمر بأن يتعلم من الأنساب ما توصل به الأرحام من حديث أبـي هريرة عن النبـي ﷺ قال: «**تَعَلَّموا من أَنْسَابِكُمْ ما تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ**» خَرَّجه الإمام أحمد والترمذي[1].

وخَرَّجه حميد بن زنجويه من طريق آخِر عن أبـي هريرة مرفوعاً: «**تَعَلَّمُوا من أَنْسابكم ما تَصِلُون به أرحامكم، ثُمَّ انتهوا، وتَعلَّموا من العربية ما تعرفون به كتابَ الله ثُمَّ انتهوا، وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٤)، والترمذي (١٩٧٩)، واستغربه، والحاكم (٤/ ١٦١)، وصححه، والبغوي في شرح السنّة (١٣/ ١٩)، والسمعاني في الأنساب (١/ ٥، ٦)، وإسناده حسن.
ولحديث أبـي هريرة طريق أخرى أخرجها الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ١٦٩، والسمعاني في الأنساب (١/ ٧)، نحو الشطر الأول من الحديث، وإسناده ضعيف فإن فيها أبا الأسباط بشر بن رافع وهو ضعيف الحديث، وللحديث شاهد من حديث العلاء بن خارجة أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٩٨)، وقال المنذري في الترغيب (٣/ ٥٥٠) «بإسناد لا بأس به». اهـ. وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٢): «ورجاله قد وثقوا».

البر والبحر ثُمَّ انتهوا»[1]. وفي إسناد رواته[2] ابن لهيعة، وخَرَّجَ أيضاً من رواية نعيم بن أبي هند قال: قال عمر: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم أمسكوا، وتعلموا من النسبة ما تصلون به أرحامكم، وتعلموا ما يحل لكم من النساء ويحرم عليكم ثم انتهوا[3].

وروى مسعر عن محمد بن عبيد الله قال: قال عمر بن الخطاب: تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق.

وكان النخعي لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به[4].

ورخص في تعليم منازل القمر أحمد وإسحاق، نقله

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (١٥٩٤)، وإسناده ضعيف، لضعف ابن لهيعة.

(٢) وفي (ض): «روايته».

(٣) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي شيبة وابن المنذر والخطيب في كتاب النجوم كما في الدر المنثور (٣/ ٣٤)، والسمعاني في الأنساب (١/ ١١).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢/ ٣٩)، وإسناده جيد.

عنهما حرب زاد إسحاق: ويتعلم من أسماء النجوم ما يهتدي به.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما.

وقال طاووس: رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف أبي جاد ليس له عند الله خلاق. خرجه حرب، وخرجه حميد بن زنجويه من رواية طاووس عن ابن عباس[1].

وهذا محمول على علم [التأثير][2] لا علم التسيير فإن علم التأثير باطل محرم، وفيه ورد الحديث المرفوع: «مَن اقْتَبَسَ شُعبة من النُّجُومِ، فَقَد اقتبسَ شُعْبَة من السِّحْرِ» خَرَّجَه أبو داود من حديث ابن عباس مرفوعاً[3].

---

(١) أثر ابن عباس، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/٢٦)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٣٩)، وفي الشعب (٢/ ٢٠٣/ أ)، وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٣٩)، وإسناده صحيح.

(٢) وفي (ش) و (ف): «التأثيرات» والمثبت من (ض) والمطبوعة.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٧١، ٣١١)، وأبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، والطبراني في الكبير (١١/ ١٣٥، ١٣٦)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٣٨)، وفي الشعب (٢/ق ٢٠٣/ أ)، وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٣٩) وإسناده صحيح، وصححه =

وخَرَّجَ أيضاً من حديث قبيصة مرفوعاً «العِيَافَةُ، والطِّيَرةُ، والطَّرْقُ من الجِبتِ»[1]. والعِيَافَة زجر الطّير،

= النووي في الفتاوى (ص ١٦٥) والذهبي كما في الفيض (٦/ ٨٠)، والحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ١١٧)، ووقع في نسخ الكتاب سوى (ع): «ومن اقتبس» ولا وجود لحرف الواو عند الكتب التي أخرجت الحديث.

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث (٢/ ٤٤، ٤٥)، وعبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٤٠٣)، وأحمد (٣/ ٤٧٧، ٥/ ٦٠)، وابن سعد في الطبقات (٧/ ٣٥)، وأبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٨/ ٢٧٥)، وابن حبان (١٤٢٦)، والطحاوي في شرح المعاني (٤/ ٣١٢، ٣١٣) والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٦٩)، والبيهقي (٨/ ١٣٩)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ١٥٨)، والخطيب (١٠/ ٤٢٥)، والبغوي في شرح السنّة (١٢/ ١٧٧) وفي تفسيره (١/ ٥٤٥، ٥٤٦ ـ هامش الخازن) وإسناده ضعيف، فيه حيان بن العلاء لم يوثقه سوى ابن حبان على عادته في توثيق المجاهيل، على أن في اسم حيان شيئاً من الاضطراب مما يدل على ضعف الحديث كما هو مبين في تهذيب الكمال (١/ ٣٤٦).

العِيافَة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها، والطَّرق: الضرب بالحصى، الذي يفعله النساء، النهاية (٣/ ١٢١ ـ ٣٣٠).

والطَّرق الخط في الأرض.

فعلم تأثير النجوم باطل محرم، والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم، وتقريب القرابين لها كفر.

وأما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزاً عند الجمهور.

وما زاد عليه فلا حاجة إليه وهو يشغل عما هو أهم منه، وربما أدى التدقيق فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين في أمصارهم. كما وقع ذلك كثيراً من أهل هذا العلم قديماً وحديثاً، وذلك يفضي إلى اعتقاد خطأ الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الأمصار، وهو باطل. وقد أنكر الإمام أحمد الاستدلال بالجدي، وقال: إنما ورد ما بين المشرق والمغرب قبله. يعني لم يرد اعتبار الجدي ونحوه من النجوم وقد أنكر ابن مسعود على كعب قوله: إن الفلك تدور. وأنكر ذلك مالك وغيره، وأنكر الإمام أحمد على المنجمين قولهم إن الزوال يختلف في البلدان.

وقد يكون إنكارهم أو إنكار بعضهم لذلك لأن الرسل

لم تتكلم في هذا وإن كان أهله يقطعون به، وأن[1] الاشتغال به ربما أدى إلى فساد عريض.

وقد اعترض بعض من كان يعرف هذا على حديث النزول ثلث الليل الآخر[2] وقال: ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان فلا يمكن أن يكون النزول في وقت معين.

ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام قبح هذا الاعتراض، وأن الرسول ﷺ وخلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه، بل بادروا إلى عقوبته وإلحاقه

(١) في المطبوعة: «وإن كان».

(٢) يشير المصنف ــ رحمه الله ــ إلى حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «ينزل ربنا تبارك وتعالى، كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟» أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢١٤)، واللفظ له والبخاري ٣/ ٢٩، ١١/ ٢٨، ١٢٩، ١٣/ ٤٦٤)، ومسلم (١/ ٥٢١)، ويحسن بك أيها القارىء الكريم أن تراجع ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، في كتابه «شرح حديث النزول» ط المكتب الإسلامي.

بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين. كذلك التوسع في علم الأنساب هو مما لا يحتاج إليه، وقد سبق عن عمر وغيره النهي عنه. مع أن طائفة من الصحابة والتابعين كانوا يعرفونه ويعتنون به[1].

وكذلك التوسع في علم العربية لغة ونحواً وهو مما يشغل عن العلم الأهم، والوقوف معه يحرم علماً نافعاً. وقد كره القاسم بن مخيمرة علم النحو، وقال: أوله شغل وآخره بغي، وأراد به التوسع فيه ولذلك كره أحمد التوسع في معرفة اللغة وغريبها وأنكر على أبي عبيد توسعه في ذلك وقال: هو يشغل عما هو أهم منه.

ولهذا يقال: إن العربية في الكلام كالملح في الطعام. يعني أنه يؤخذ منها ما يصلح الكلام، كما يؤخذ من الملح ما يصلح الطعام. وما زاد على ذلك فإنه يفسده. وكذلك علم الحساب يحتاج منه إلى ما يعرف به حساب [ما

(١) قلت: ومن هذه الطائفة أبو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ فقد شهد له بذلك النبي ﷺ، فقد أخرج مسلم (٤/ ١٩٣٥) عن عائشة من حديث طويل أن النبي ﷺ قال لحسان: «لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها...» الحديث.

يقع][1] من قسمة الفرائض والوصايا والأموال التي تقسم بين المستحقين لها والزائد على ذلك مما لا ينتفع به إلَّا في مجرد رياضة الأذهان وصقالها لا حاجة إليه ويشغل عما هو أهم منه.

وأما ما أُحدث بعد الصحابة من العلوم التي توسع فيها أهلها وسموها علوماً، وظنوا أن من لم يكن عالماً بها فهو جاهل أو ضال فكلها بدعة. وهي من محدثات الأمور المنهي عنها، فمن ذلك ما أحدثته المعتزلة من الكلام في القدر وضرب الأمثال لله، وقد ورد النهي عن الخوض في القدر، وفي صحيحي ابن حبان والحاكم عن ابن عباس مرفوعاً: **«لا يَزال أمر هذه الأمة مُوافياً ومُقَارباً ما لم يَتَكَلموا في الولدان والقدر»**[2].

---

(1) ما بين المعكوفين من المطبوعة، والذي في (ش) و (ف): «ما ينتفع».

(2) أخرجه البزار كما في المجمع (٧/ ٢٠٢)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٦٢)، وابن حبان (١٨٢٤)، والحاكم (١/ ٣٣)، وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٩٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وإسناده جيد، وقال الهيثمي: «ورجال البزار رجال الصحيح». اهـ.

وقد روي موقوفاً ورجح بعضهم وقفه. وخرج البيهقي من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «إذا ذُكِر أصحابي فأَمسكوا، وإذا ذُكِر النجوم فأَمسكوا»، وقد روي من وجوه متعددة في أسانيدها مقال[1].

وروي عن ابن عباس أنه قال لميمون بن مهران: إياك والنظر في النجوم فإنها تدعو إلى الكهانة، وإياك والقدر فإنه يدعو إلى الزندقة، وإياك وشتم أحد من أصحاب محمد ﷺ فيكبك الله في النار على وجهك وخرَّجه أبو نعيم مرفوعاً ولا يصح رفعه[2].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٤٣، ٢٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨)، وقال: «غريب» قلت: وسنده ضعيف فيه مسهر بن عبد الملك لين الحديث كما في التقريب، لكن له شاهد من مرسل طاووس أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في أماليه (٢/ ق ٣٩/ ب)، وإسناده صحيح، فيتقوى به الحديث إن شاء الله.

(٢) أخرجه السهمي في تاريخ جرجان (ص ٤٢٩) بنحوه من طريق أحمد بن محمد بن كريب قال حدثني أبي عن جدي قال سمعت ابن عباس وذكره مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، أحمد بن محمد، قال الحافظ في اللسان (١/ ٢٩٨): «لا أعرفه» وذكر أن هذا الخبر منكر وأبوه محمد بن كريب ضعيف كما في التقريب.

من خالفهم: إن الله جبر العباد على أفعالهم ونحو ذلك.

ومنها: الخوض في سر القدر، وقد ورد النهي عنه، عن علي وغيره من السلف. فإن العباد لا يطلعون على حقيقة ذلك.

ومن ذلك أعني محدثات الأمور ما أحدثه المعتزلة، ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله تعالى، وصفاته بأدلة العقول وهو أشد خطراً من الكلام في القدر، لأن الكلام في القدر كلام في أفعاله، وهذا كلام في ذاته وصفاته.

وانقسم هؤلاء إلى قسمين:

أحدهما: من نفى كثيراً مما ورد به الكتاب والسنَّة من ذلك لاستلزامه عنده التشبيه بالمخلوقين، كقول المعتزلة: لو رؤي لكان جسماً لأنه لا يرى إلاَّ في جهة.

وقولهم: لو كان له كلام يسمع لكان جسماً. ووافقهم من نفي الاستواء، فنفوه لهذه التشبيهة، وهذا طريق المعتزلة والجهمية.

وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم. وقد سلك

سبيلهم في بعض الأمور كثير ممن انتسب إلى السنَّة والحديث من المتأخرين.

والثاني: من رام إثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الأثر، ورد على أولئك مقالتهم كما هي طريقة مقاتل بن سليمان ومن تابعه كنوح بن أبي مريم، وتابعهم طائفة من المحدثين قديماً وحديثاً وهو أيضاً مسلك الكرامية[1] فمنهم من أثبت لإثبات هذه الصفات الجسم، إما لفظاً وإما معنى. ومنهم من أثبت لله صفات لم يأت بها الكتاب والسنَّة كالحركة وغير ذلك مما هي عنده لازم الصفات الثابتة.

وقد أنكر السلف على مقاتل قوله: في رده على جهم بأدلة العقل وبالغوا في الطعن عليه، ومنهم من استحل قتله. منهم مكي بن إبراهيم شيخ البخاري وغيره.

والصواب ما عليه السلف الصالح من إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف

(١) نسبة إلى محمد بن كرام. انظر لمعرفة حالهم: الفرق بين الفرق (ص ٢١٥)، والملل والنحل (١/ ١١٤)، للشهرستاني.

ولا تمثيل[1]، ولا يصح عن أحد منهم خلاف ذلك ألبتة، خصوصاً الإمام أحمد، ولا خوضاً في معانيها ولا ضرب مثل من الأمثال لها.

وإن كان بعض من كان قريباً من زمن أحمد فيهم من فعل شيئاً من ذلك أتباعاً لطريقة مقاتل، فلا يقتدى به في ذلك، إنما الإقتداء بأئمة الإسلام كابن المبارك ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ونحوهم.

وكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلاً عن كلام الفلاسفة، ولم يدخل ذلك من كلامه من سلم من قدح وجرح. وقد قال أبو زرعة الرازي: كل من كان عنده علم فلم يصن علمه واحتاج في نشره إلى شيء من الكلام فلستم منه.

---

(١) لا شك أن هذا هو المذهب الحق في صفات الله تبارك وتعالى نؤمن بها، ونمرها على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، فإن الله تبارك وتعالى أعلم بنفسه من كل أحد، وأعلم الناس به رسوله ﷺ، وهذه عقيدة سلف الأمة رضوان الله تعالى عليهم.

ومن ذلك ـ أعني محدثات العلوم ـ ما أحدثه فقهاء أهل الرأي من ضوابط وقواعد عقلية ورد فروع الفقه إليها.

وسواء خالفت السنن أم وافقتها طرداً لتلك القواعد المقررة، وإن كان أصلها مما تأولوه على نصوص الكتاب والسنَّة لكن بتأويلات يخالفهم غيرهم فيها. وهذا هو الذي أنكره أئمة الإسلام على من أنكروه من فقهاء أهل الرأي بالحجاز والعراق وبالغوا في ذمه وإنكاره.

فأما الأئمة وفقهاء أهل الحديث فإنهم يتبعون الحديث الصحيح حيث كان إذا كان معمولاً به عند الصحابة ومن بعدهم أو عند طائفة منهم. فأما ما اتفق السلف على تركه فلا يجوز العمل به لأنهم ما تركوه إلاَّ على علم أنه لا يعمل به.

قال عمر بن عبد العزيز: خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم فإنهم كانوا أعلم منكم فأما ما خالف عمل أهل المدينة من الحديث فهذا كان مالك يرى الأخذ بعمل أهل المدينة.

والأكثرون أخذوا بالحديث.

ومما أنكره أئمة السلف الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضاً، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام، وإنما أحدث ذلك بعدهم كما أحدثه فقهاء العراقَيْن في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية، وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث والجدال فيها. وكل ذلك محدث لا أصل له، وصار ذلك علمهم، حتى شغلهم عن العلم النافع. وقد أنكر ذلك السلف وورد في الحديث المرفوع في السنن «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعد هُدى إلاَّ أُوتُوا الجَدَل»، ثُمَّ قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾[1] [الزخرف: ٥٨].

وقال بعض السلف: إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢، ٢٥٦)، والترمذي (٣٢٥٣)، وصححه، وابن ماجه (٤٨)، وابن جرير (٢٥/ ٥٣)، وابن أبي عاصم في السنَّة رقم (١٠١)، والطبراني في الكبير (٨/ ٣٣٣)، والآجري في الشريعة (ص ٥٤)، والحاكم (٢/ ٤٤٧، ٤٤٨)، والسهمي في تاريخ جرجان (ص ٧٤)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٢٣٠، ٢٣١)، وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٩٧)، والبغوي في تفسيره (٦/ ١٣٨، ١٣٩) من حديث أبي أمامة وإسناده حسن.

العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل[1].

وقال مالك: أدركت [أهل] هذه البلدة وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي فيه الناس اليوم[2]، يريد المسائل.

وكان يعيب كثرة الكلام والفتيا ويقول: يتكلم أحدهم كأنه جمل مغتلم، يقول: هو كذا هو كذا، يهدر في كلامه. وكان يكره الجواب في كثرة المسائل ويقول: قال الله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، فلم يأته في ذلك جواب وقيل له: الرجل يكون عالماً بالسنن يجادل عنها؟ قال لا ولكن يخبر بالسنَّة، فإن قبل منه وإلاَّ سكت. وقال: المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم.

وقال: المراء في العلم يقسي القلب ويورث

---

(١) هو من قول معروف الكرخي أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٦١)، والخطيب في اقتضاء العلم (ص ٨٠).

(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٩)، وما بين المعكوفين منه ومن (ض) والمطبوعة.

[الضغن][1]، وكان يقول في المسائل التي يسأل عنها كثيراً: لا أدري. وكان الإمام أحمد يسلك سبيله في ذلك.

وقد ورد النهي عن كثرة المسائل وعن أغلوطات المسائل، وعن المسائل قبل وقوع الحوادث وفي ذلك ما يطول ذكره.

ومع هذا ففي كلام السلف والأئمة كمالك والشافعي وأحمد وإسحاق التنبيه على مأخذ الفقه، ومدارك الأحكام بكلام وجيز مختصر يفهم به المقصود من غير إطالة ولا إسهاب.

وفي كلامهم من رد الأقوال المخالفة للسنَّة بألطف إشارة وأحسن عبارة، بحيث يغني ذلك من فهمه عن إطالة المتكلمين في ذلك بعدهم. بل ربما لم يتضمن تطويل كلام من بعدهم من الصواب في ذلك ما تضمنه كلام السلف والأئمة مع اختصاره وإيجازه.

فما سكت من سكت عن كثرة الخصام والجدال من

---

(١) وفي (ش) و(ف) والمطبوعة: «الطعن»، والمثبت من (ض).

سلف الأمة جهلاً ولا عجزاً ولكن سكتوا عن علم وخشية لله.

وما تكلَّم من تكلَّم وتوسَّع من توسَّع بعدهم باختصاصه[1] بعلم دونهم، ولكن حباً للكلام وقلة ورع. كما قال الحسن وسمع قوماً يتجادلون: هؤلاء قوم ملوا العبادة وخف عليهم القول، وقل ورعهم فتكلموا[2].

وقال مهدي بن ميمون: سمعت محمد بن سيرين وما رآه رجل ففطن له، فقال إني أعلم ما يريد، إني لو أردت أن أماريك كنت عالماً بأبواب المراء. وفي رواية قال: أنا أعلم بالمراء منك ولكني لا أماريك[3].

وقال إبراهيم النخعي: ما خاصمت قط. وقال عبد الكريم الجزري: ما خاصم ورع قط[4].

---

(١) وفي (ض) و (ف): «لاختصاصه».

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٢٧٢)، وأبو نعيم في الحلية (١٥٦/٢).

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة (ص ٦١، ٦٢)، بنحوه وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (ص ٥٨)، وإسناده جيد.

وقال جعفر بن محمد: إياكم والخصومات في الدين فإنها تشغل القلب وتورث النفاق[1].

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: إذا سمعت المراء فأقصر. وقال من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل[2].

وقال: إن السابقين عن علم وقفوا، وببصر نافذ قد كفوا وكانوا هم أقوى على البحث لو بحثوا وكلام السلف في هذا المعنى كثير جداً.

وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا، وظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت كيف كانوا؟ كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه. وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٩٨).

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٩١)، والآجري في الشريعة (ص ٥٦، ٥٧).

والصحابة أعلم منهم. وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين، والتابعون أعلم منهم. فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد.

وقد كان النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم[1] واختصر له الكلام اختصاراً.

ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في القيل والقال[2]، وقد قال النبي ﷺ: **«إن الله لم يبعث نبياً إلاَّ مبلغاً، وإن تشقيق الكلام من الشيطان»**[3]، يعني أن النبي

---

(١) أخرج البخاري (١٢/ ٣٩٠)، ومسلم (١/ ٣٧١، ٣٧٢)، واللفظ له عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب...»** الحديث.

(٢) يشير المصنف ـ رحمه الله ـ إلى ما أخرجه البخاري (٣/ ٣٤٠، ٥/ ٦٨، ١٠/ ٤٠٥، ١١/ ٣٠٦)، ومسلم (٣/ ١٣٤٠، ١٣٤١)، واللفظ للبخاري عن المغيرة بن شعبة مرفوعاً: **«إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»**.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ١٦٣، ١٦٤) من مرسل مجاهد وهو ضعيف لإرساله.

إنما يتكلم بما يحصل به البلاغ، وأما كثرة القول وتشقيق الكلام فإنه مذموم، وكانت خطب النبي ﷺ قصداً[1]، وكان يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه[2]، وقال: «إن من البيان سحراً»[3]، وإنما قاله في ذم ذلك، لا مدحاً له كما ظن ذلك من ظنه، ومن تأمل سياق ألفاظ الحديث قطع بذلك.

وفي الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: **«إِنَّ الله ليبغض البَلِيغ من الرِّجَالِ، الذي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كما تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ بِلِسَانها»**[4]. وفي المعني أحاديث كثيرة مرفوعة

---

(١) أخرج مسلم (٢/ ٥٩١)، عن جابر بن سمرة قال: كنت أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً.

(٢) عن عائشة قالت: إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه. أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥، ١٨٧)، وأبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٣)، واللفظ له وحسنه، والحاكم في المعرفة (ص ١٠٢)، والبيهقي في الشعب (٢/ ق ١٨٠/ ب)، وفي الآداب (ق ١٨١)، وإسناده قابل للتحسين وله شاهد من حديث ابن عمر يتقوى به، أخرجه الطبراني في الأوسط كما في المجمع (٨/ ١١٦)، وقال الهيثمي: «عن شيخه مقدام بن داود وهو ضعيف».

وموقوفة على عمر وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم من الصحابة.

فيجب أن يعتقد أنه ليس كل من كثر بسطه للقول وكلامه في العلم كان أعلم ممن ليس كذلك.

وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم، فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله. ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين. وهذا يلزم منه ما قبله، لأن هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثر قولاً ممن كان قبلهم فإذا كان من بعدهم أعلم منهم لاتساع قوله كان أعلم ممن كان أقل منهم قولاً بطريق الأولى، كالثوري والأوزاعي والليث وابن المبارك وطبقتهم، وممن قبلهم من التابعين والصحابة أيضاً فإن هؤلاء كلهم أقل كلاماً ممن جاء بعدهم.

وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح وإساءة ظن بهم ونسبته لهم إلى الجهل وقصور العلم ولا حول ولا قوة إلاَّ

بالله، وقد صدق ابن مسعود في قوله في الصحابة: إنهم أبر الأمة قلوباً وأعمقها علوماً وأقلها تكلفاً[1] وروي نحوه عن ابن عمر أيضاً.

وفي هذا إشارة إلى أن من بعدهم أقل علوماً وأكثر تكلفاً. وقال ابن مسعود أيضاً: إنكم في زمان كثير علماؤه، قليل خطباؤه وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه كثير خطباؤه[2]. فمن كثر علمه وقل قوله فهو الممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم.

وقد شهد النبي ﷺ لأهل اليمن بالإيمان والفقه[3]،

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢/ ٩٧)، وإسناده ضعيف فيه سنيد ابن داود وهو ضعيف كما في التقريب، وأما أثر ابن عمر فأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥)، وإسناده ضعيف لضعف عمر بن نبهان وتدليس الحسن البصري.

(٢) أخرجه أبو خيثمة في العلم (١٠٩)، وإسناده صحيح، ورواه الطبراني في الكبير (٨٥٦٦)، بنحوه وسنده جيد، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٩)، بلفظ مقارب وإسناده قوي وصححه الحافظ في الفتح (١٠/ ٥١٠).

(٣) يشير المصنف، إلى حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: =

وأهل اليمن أقل الناس كلاماً وتوسعاً في العلوم لكن علمهم علم نافع في قلوبهم، ويعبرون بألسنتهم عن القدر المحتاج إليه من ذلك، وهذا هو الفقه والعلم النافع.

فأفضل العلوم في تفسير القرآن ومعاني الحديث، والكلام في الحلال والحرام ما كان مأثوراً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى أن ينتهي إلى زمن أئمة الإسلام المشهورين المقتدى بهم، الذين سميناهم فيما سبق.

فضبط ما روي عنهم في ذلك أفضل العلم(١) مع تفهمه وتعقله والتفقه فيه، وما حدث بعدهم من التوسع لا خير في كثير منه إلاَّ أن يكون شرحاً لكلام يتعلق [بكلامهم](٢).

وأما ما كان مخالفاً لكلامهم فأكثره باطل أو لا منفعة

= «جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة الإيمان يمان، والفقه يمان. . .» الحديث أخرجه البخاري (٨/٩٨)، ومسلم (١/٧١، ٧٢، ٧٣)، واللفظ له.

(١) وفي (ض): «العلوم» وكذا في المطبوعة.

(٢) وفي (ش) و(ض) و(ف): «من كلامهم»، وما أثبته من المطبوعة وهو الظاهر، والله أعلم.

فيه، وفي كلامهم في ذلك كفاية وزيادة فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق إلاَّ وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة. ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل إلاَّ وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتأمله. ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة ما لا يهتدي إليه من بعدهم ولا يلم به.

فمن لم يأخذ العلم من كلامهم فاته ذلك الخير كله مع ما يقع في كثير من الباطل متابعة لمن تأخر عنهم، ويحتاج من أراد جمع كلامهم إلى معرفة صحيحه من سقيمه، وذلك بمعرفة الجرح والتعديل والعلل. فمن لم يعرف ذلك فهو غير واثق بما ينقله من ذلك ويلتبس عليه حقه بباطله، ولا يثق بما عنده من ذلك.

كما يرى من قل علمه بذلك لا يثق بما يروى عن النبي ﷺ ولا عن السلف لجهله بصحيحه من سقيمه، فهو لجهله يجوز أن يكون كله باطلاً لعدم معرفته بما يعرف به صحيح ذلك وسقيمه.

قال الأوزاعي: العلم ما جاء به أصحاب محمد ﷺ

فما كان غير ذلك فليس بعلم[1]، وكذا قال الإمام أحمد، وقال في التابعين: أنت مخير يعني مخير في كتابته وتركه.

وقد كان الزهري يكتب ذلك وخالفه صالح بن كيسان ثم ندم على تركه كلام التابعين[2].

وفي زماننا يتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة، وحدث من انتسب إلى متابعة السنَّة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن [الأئمة][3] وانفراده عنهم بفهم يفهمه. أو يأخذ ما لم يأخذ به [الأئمة][4] من قبله.

فأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين أو الفلاسفة

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الجامع (٢/ ٢٩).

(٢) أخرجه الخطيب في تقييد العلم (ص ١٠٦، ١٠٧)، وابن عبد البر في الجامع (١/ ٧٦، ٧٧).

(٣) ما بين المعكوفين من (ض) و (ع) والمطبوعة.

(٤) ما بين المعكوفين من (ض) و (ع).

فشر محض، وقل من دخل في شيء من ذلك إلاَّ وتلطخ ببعض أوضارهم. كما قال أحمد: لا يخلو من نظر في الكلام إلاَّ تجهم. وكان هو وغيره من أئمة السلف يحذرون من أهل الكلام وإن ذبوا عن السنَّة. وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام [المحدث][1] واتبع أهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته إلى الجهل أو إلى الحشو، وإلى أنه غير عارف بالله أو غير عارف بدينه، فكل ذلك من خطوات الشيطان نعوذ بالله منه.

ومما أحدث من العلم، الكلام في العلوم الباطنة من المعارف وأعمال القلوب وتوابع ذلك، بمجرد الرأي والذوق أو الكشف وفيه خطر عظيم، وقد أنكره أعيان الأئمة كالإمام أحمد وغيره.

وكان أبو سليمان يقول: إنه لتمر بي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلاَّ بشاهدين عدلين الكتاب والسنَّة[2].

وقال الجنيد: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنَّة، من لم

---

(١) المثبت من (ض) و(ع) والمطبوعة، وفي (ش): «المتحدث».

(٢) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية (ص ٧٨).

يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في علمنا هذا[1].

وقد اتسع الخرق في هذا الباب ودخل فيه قوم إلى أنواع الزندقة والنفاق، ودعوى أن أولياء الله أفضل من الأنبياء، أو أنهم مستغنون عنهم، وإلى التنقص بما جاءت به الرسل من الشرائع، وإلى دعوى الحلول والاتحاد أو القول بوحدة الوجود وغير ذلك من أصول الكفر والفسوق والعصيان، كدعوى الإباحة، وحل محظورات الشرائع.

وأدخلوا في هذا الطريق أشياء كثيرة ليست من الدين في شيء، فبعضها زعموا أنه يحصل به ترقيق القلوب كالغناء والرقص، وبعضها زعموا أنه يراد لرياضة النفوس كعشق الصور المحرمة ونظرها، وبعضها زعموا أنه لكسر النفوس والتواضع كشهرة اللباس وغير ذلك مما لم [تأت][2] به الشريعة. وبعضه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة كالغناء

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٥٥)، ومن طريقه الخطيب (٧/ ٢٤٣)، وإسناده صحيح.

(٢) وفي (ش): «يأت».

والنظر المحرم، وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنَّة وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك. والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانياً. وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عني واشتغل.

ومن وقف على هذا وأخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل واستعان عليه، أعانه وهداه ووفقه وسدده وفهمه وألهمه، وحينئذٍ يثمر له هذا العلم ثمرته الخاصة به وهي خشية الله كما قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

قال ابن مسعود وغيره: كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً[1]، وقال بعض السلف: ليس العلم

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٥)، وأحمد في الزهد =

بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية. وقال بعضهم: من خشي الله فهو عالم ومن عصاه فهو جاهل، وكلامهم في هذا المعنى كثير جداً.

وسبب ذلك أن هذا العلم النافع يدل على أمرين:

أحدهما: على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة. وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته، ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه، والرضا بقضائه والصبر على بلائه.

والأمر الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال.

فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله

= (ص ١٥٨)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١١، ٢١٢)، وابن بطة في جزء الكلام على مسألة الخلع (ص ٢٥)، والبيهقي في المدخل (ص ٣١٥)، وإسناده ضعيف لاختلاط المسعودي وانقطاعه بين القاسم بن عبد الرحمن وابن مسعود فإنه لم يسمع منه.

ورضاه والتباعد عما يكرهه ويسخطه. فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع، فمتى كان العلم نافعاً ووقر في القلب، فقد خشع القلب لله وانكسر له وذل هيبة وإجلالاً وخشية ومحبة وتعظيماً ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا، وشبعت به فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا. وكل ما هو فان لا يبقى من المال والجاه وفضول العيش الذي ينقص به حظ صاحبه عند الله من نعيم الآخرة وإن كان كريماً على الله كما قال ذلك ابن عمر وغيره من السلف وروي مرفوعاً.

وأوجب ذلك أن تكون بين العبد وبين ربه عز وجل معرفة خاصة، فإن سأله أعطاه، وإن دعاه أجابه. كما قال في الحديث الإلهي: **«ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»**، إلى قوله: **«فلئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»**،[1] وفي رواية: **«ولئن دعاني لأجيبنه»**[2]، وفي

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٣٤٠، ٣٤١) من حديث أبي هريرة.

(٢) هذه الرواية وردت ضمن حديث لعائشة أخرجها أحمد (٦/ ٢٥٦)، وابن أبي الدنيا في الأولياء (٤٥)، والبزار كما في =

وصيته ﷺ لابن عباس: «احْفَظِ الله يَحْفظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ أمامك، تَعَرَّفَ إلى الله في الرَّخاء يَعرفك في الشدة»[1]، فالشأن في أن العبد يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث يجده قريباً منه يستأنس به في خلوته ويجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وخدمته، ولا يجد ذلك إلاَّ من أطاعه في سره وعلانيته، كما قيل لوهيب بن الورد: أيجد حلاوة الطاعة من عصى؟ قال لا ولا من هم[2].

= المجمع (١٠/ ٢٦٩)، وفيها عبد الواحد بن قيس مختلف فيه، قال الحافظ في التقريب: «صدوق له أوهام»، وأخرجه الطبراني في الأوسط كما في المجمع (١٠/ ٢٦٩)، وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح غير شيخه هارون بن كامل» فالحديث بهذين الطريقين حسن والله أعلم.

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (١/ ٣٠٧)، والبيهقي في الشعب (١/ ق ١٩٧/ أ)، وفي الأسماء والصفات (ص ٧٥، ٧٦)، وإسناده حسن وقد تكلم على إسناد أحمد العلاّمة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٤/ ٢٨٦)، بما لا يدع مجالاً للزيادة عليه، هذا وللحديث طرق أخرى وشواهد تكلمت عليها مسهباً في تحقيقي «لكتاب نور الاقتباس» للمصنف (ص ٣٥ ـ ٤٠).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٤٤).

ومتى وجد العبد هذا فقد عرف ربه وصار بينه وبينه معرفة خاصة. فإذا سأله أعطاه وإذا دعاه أجابه كما قالت شعوانة لفضيل: أما بينك وبين ربك ما إذا دعوته أجابك، فغشي عليه. والعبد لا يزال يقع في شدائد وكرب في الدنيا وفي البرزخ وفي الموقف فإذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه الله ذلك كله. وهذا هو المشار إليه في وصية ابن عباس بقول ﷺ: «تَعَرَّف إلي الله في الرَّخاء يعرفك في الشدة»(١).

وقيل لمعروف ما الذي هيجك إلى الانقطاع؟ وذكر له الموت والقبر والموقف والجنة والنار، فقال: إن ملكاً هذا كله بيده إذا كانت بينك وبينه معرفة كفاك هذا كله.

فالعلم النافع ما عرف بين العبد وربه ودل عليه حتى عرف ربه ووحده وأنس به واستحيا من قربه وعبده كأنه يراه، ولهذا قالت طائفة من الصحابة: إن أول علم يرفع من الناس الخشوع.

وقال ابن مسعود: إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

وقال الحسن: العلم علمان، فعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب فذاك العلم النافع[1]، وكان السلف يقولون: العلماء ثلاثة، عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمره، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله[2].

وأكملهم الأول، وهو الذي يخشى الله ويعرف أحكامه، فالشأن كله في أن العبد يستدل بالعلم على ربه فيعرفه فإذا عرفه ربه فقد وجده منه قريباً، ومتى وجده منه قريباً قربه إليه، وأجاب دعاءه كما في الأثر الإسرائيلي: ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء! وأنا أحب إليك من كل شيء. وكان ذو النون يردد هذه الأبيات بالليل:

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ١٠٢) من طريق هشام بن حسان، وهشام هذا لم يسمع من الحسن البصري كما في التقريب.

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ١٠٢)، والبيهقي في الشعب (١/ ق ٣٢٦/ أ)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٨٠)، وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٤٨)، عن سفيان بن عيينة قال كان يقال العلماء ثلاثة.. وإسناده صحيح.

أطلبـــوا لأنفسكـــم مثل ما وجدت أنا
قد وجدت لي سكناً ليـس فـي هـواه عنـا
إن بعــدت قــربنــي أو قَــربــت منــه دنــا

وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول عن معروف: معه أصل العلم خشية الله.

فأصل العلم، العلم بالله الذي يوجب خشيته، ومحبته والقرب منه والأُنس به والشوق إليه، ثم يتلوه العلم بأحكام الله، وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد.

فمن تحقق بهذين العلمين كان علمه علماً نافعاً، وحصل له العلم النافع والقلب الخاشع والنفس القانعة والدعاء المسموع، ومن فاته هذا العلم النافع وقع في الأربع التي استعاذ منها النبي ﷺ وصار علمه وبالاً وحجة عليه، فلم ينتفع به لأنه لم يخشع قلبه لربه، ولم تشبع نفسه من الدنيا، بل ازداد عليها حرصاً ولها طلباً، ولم يسمع دعاؤه لعدم امتثاله لأوامر ربه وعدم اجتنابه لما يسخطه ويكرهه، هذا إن كان علمه علماً يمكن الانتفاع به، وهو المتلقى عن

الكتاب والسنَّة. فإن كان متلقى من غير ذلك فهو غير نافع في نفسه، ولا يمكن الانتفاع به، بل ضره أكثر من نفعه.

وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع أن يكسب صاحبه الزهو والفخر والخيلاء، وطلب العلو والرفعة في الدنيا والمنافسة فيها. وطلب مباهاة العلماء ومماراة السفهاء وصرف وجوه الناس إليه، وقد ورد عن النبي ﷺ: **«أن من طلب العلم لذلك فالنار النار»**[1] وربما ادعى بعض أصحاب هذه العلوم معرفة الله وطلبه والإعراض عما سواه، وليس غرضهم بذلك إلاَّ طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم، وإحسان ظنهم بهم، وكثرة أتباعهم والتعظم بذلك

(١) يشير المصنف إلى حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: **«لا تَعَلَّمُوا العِلْمَ لِتُباهوا به العُلَماء، ولا لِتُماروا به السُّفهاء، ولا تَخيَّروا به المجالس فمن فعل ذلك، فالنَّار النار»**، أخرجه ابن ماجه (٢٥٤)، وابن حبان (٢٩٠)، والآجري في الأخلاق (ص ٨٤، ٨٥)، والحاكم (١/ ٨٦)، والبيهقي في الشعب (١/ ق ٣١٠/ ب)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ٨٨)، وفي الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٢)، وابن عبد البر في الجامع (١/ ١٨٧)، وفيه ابن جريج وأبو الزبير وهما مدلسان ولم يصرحا بالتحديث وسيأتي الحديث بمعناه والكلام عليه.

على الناس. وعلامة ذلك إظهار دعوى الولاية كما كان يدعيه أهل الكتاب، وكما ادعاه القرامطة والباطنية[1] ونحوهم وهذا بخلاف ما كان عليه السلف من احتقار نفوسهم وازدرائها باطناً وظاهراً.

[وقال عمرو: من قال أنه عالم فهو جاهل، ومن قال إنه مؤمن فهو كافر، ومن قال هو في الجنة فهو في النار[2]]

ومن علامات ذلك؛ عدم قبول الحق والانقياد إليه والتكبر على من يقول الحق، خصوصاً إن كان دونهم في أعين الناس، والإصرار على الباطل خشية تفرق قلوب الناس

---

(١) أفاض ابن الجوزي في ذكر القرامطة في المنتظم (٥/ ١١٠ ـ ١١٩)، وكذا ابن الأثير في الكامل (٧/ ٤٤٤ ـ ٤٤٩)، وانظر لمعرفة حالة الباطنية: الفرق بين الفرق (ص ٢٨١)، والملل والنحل (٢/ ٢٩)، وللغزالي رسالة في فضائح الباطنية بتحقيق عبد الرحمن بدوي.

(٢) لا ريب أن هذا من الغيبيات التي علمها عند الله تعالى، وهذا القول ـ إن صحّ عن قائله ـ مردود عليه وكل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلاّ النبي ﷺ.

عنهم بإظهار الرجوع إلى الحق. وربما أظهروا بألسنتهم ذم أنفسهم واحتقارها على رؤوس الأشهاد ليعتقد الناس فيهم أنهم عند أنفسهم متواضعون فيمدحون بذلك وهو من دقائق أبواب الرياء كما نبه عليه التابعون فمن بعدهم من العلماء. ويظهر منهم قبول المدح واستجلابه مما ينافي الصدق والإخلاص، فإن الصادق يخاف النفاق على نفسه ويخشى على نفسه من سوء الخاتمة فهو في شغل شاغل عن قبول المدح واستحسانه، فلهذا كان من علامات أهل العلم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالاً ولا مقاماً ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبرون على أحد.

قال الحسن: إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، البصير بدينه المواظب على عبادة ربه[1]، وفي رواية عنه قال: الذي لا يحسد من فوقه، ولا يسخر ممن دونه، ولا يأخذ على علم علمه الله أجراً، وهذا الكلام الأخير قد روي

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٢٦٧)، والدارمي (١/ ٨٩)، والآجري في الأخلاق (ص ٧٤)، وابن بطة في جزء الخلع (ص ٢٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٤٧، ٦/ ١٧٨)، وإسناده حسن.

معناه عن ابن عمر من قوله[1]، وأهل العلم النافع كلما ازدادوا في هذا العلم ازدادوا لله تواضعاً وخشيةً وانكساراً وذلاً.

قال بعض السلف: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لربه[2].

فإنه كلما ازداد علماً بربه ومعرفةً به ازداد منه خشيةً ومحبةً وازداد له ذلاً وانكساراً.

ومن علامات العلم النافع: أنه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا وأعظمها الرياسة والشهرة والمدح، فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في مجانبته من علامات العلم النافع، فإن[3] وقع شيء من ذلك من غير قصد واختيار كان صاحبه في خوف شديد من عاقبته، بحيث أنه يخشى أن يكون مكراً واستدراجاً، كما كان الإمام أحمد يخاف ذلك على نفسه عند اشتهار اسمه وبعد صيته.

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٨٨)، من قول ابن عمر وفيه من لم يسم.

(٢) أخرجه الآجري في الأخلاق (ص ٧١)، وابن بطة في جزء الخلع (ص ٣٠)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١١٣)، من قول أيوب وإسناده صحيح.

(٣) وفي (ض) والمطبوعة: «فإذا».

ومن علامات العلم النافع: أن صاحبه لا يدعي العلم ولا يفخر به على أحد، ولا ينسب غيره إلى الجهل إلاَّ من خالف السنَّة وأهلها، فإنه يتكلم فيه غضباً لله لا غضباً لنفسه ولا قصداً لرفعتها على أحد.

وأما من علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس، وإظهار فضل علمه عليهم ونسبتهم إلى الجهل، وتنقصهم ليرتفع بذلك عليهم وهذا من أقبح الخصال وأردئها. وربما نسب من كان قبله من العلماء إلى الجهل والغفلة والسهو، فيوجب له حب نفسه وحب ظهورها، وإحسان ظنه بها وإساءة ظنه بِمَن سلف.

وأهل العلم النافع على ضد هذا. يسيئون الظن بأنفسهم ويحسنون الظن بمن سلف من العلماء، ويقرون بقلوبهم وأنفسهم بفضل من سلف عليهم وبعجزهم عن بلوغ مراتبهم والوصول إليها أو مقاربتها. وما أحسن قول أبي حنيفة وقد سئل عن علقمة والأسود: أيهما أفضل؟ فقال: والله ما نحن بأهل أن نذكرهم، فكيف نفضل بينهم.

وكان ابن المبارك إذا ذكر أخلاق من سلف ينشد:

لا تعــرضــن لــذكــرنــا فــي ذكــرهــم

ليــس الصحيــح إذا مشــى كــالمقعــد

ومن علمه غير نافع إذا رأى لنفسه فضلاً على من تقدمه في المقال وتشقق الكلام، ظن لنفسه عليهم فضلاً في العلم أو الدرجة عند الله لفضل خص به عمن سبق فاحتقر من [تقدمه][1]، وازدرى عليه بقلة العلم، ولا يعلم المسكين أن قلة كلام من سلف إنما كان ورعاً وخشية لله ولو أراد الكلام وإطالته لما عجز عن ذلك. كما قال ابن عباس لقوم سمعهم يتمارون في الدين: أما علمتم أن لله عباداً أسكتتهم خشية الله من غير عي ولا بكم، وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء، العلماء بأيام الله، غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله طاشت لذلك عقولهم وانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله بالأعمال الزاكية، يعـدون أنفسهم مـن المفـرطين، وإنهم لأكيـاس أقويـاء مـع الظـالميـن والخـاطئيـن، وإنهـم لأبـرار بـرآء، إلاَّ أنهـم لا يستكثرون لـه الكثير، ولا يرضون لـه بالقليل، ولا يدلـون

(١) وفي (ش): «يقدمه».

عليه بالأعمال، هم حيث ما لقيتهم مهتمون مشفقون وجلون خائفون[1]. خَرَّجه أبو نعيم وغيره.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**الحَيَاءُ والعِيُّ شُعْبَتَانِ من الإيمَانِ، والبَذَاءُ وَالبيَانُ شُعْبَتَانِ من النِّفَاقِ**»[2]، وحسنه الترمذي

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (١٤٩٥)، والآجري في الشريعة (ص ٥٩، ٦٠)، وفي الأخلاق (ص ٧٤، ٧٥، ٧٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٢٥)، وفي إسناده موسى بن أبي درم، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ١٤٢)، ولم يحك فيه جرحاً ولا تعديلاً وله طريق أخرى أخرجها أحمد في الزهد (ص ٤٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٢٥)، وفي إسنادها إدريس بن سنان وهو ضعيف كما في التقريب.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (١٨٨)، وأحمد (٥/ ٢٦٩)، والترمذي (٢٠٢٧)، وحسَّنه وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (٢/ ق ١١/ ب)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٤٩)، والحاكم (١/ ٩، ٥٢)، والبغوي في شرح السنَّة (١٢/ ٣٦٦)، وإسناده صحيح وحسَّنه الحافظ العراقي في أماليه كما في الفيض (٣/ ٤٢٨).

والعي: سكون اللسان تحرزاً عن الوقوع في البهتان. فيض القدير.

وخَرَّجَهُ الحاكم وصحّحه.

وخَرَّجَ ابن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «البيَانُ مِنَ اللَّهِ والعِيُّ مِنَ الشَّيْطَانِ، ولَيْسَ البيَانُ بكثرةِ الكلامِ، ولكِنَّ البيَان الفَصْلِ فِي الحقِّ، وَلَيْسَ العِيُّ قِلَّةَ الكَلام، ولكِنْ مَن سَفِهَ الحَقَّ»[1].

وفي مراسيل محمد بن كعب القرظي عن النبي ﷺ قال: «ثَلاثٌ يَنقص بهنَّ العَبْدُ فِي الدُّنْيَا وَيُدْرِك بهنَّ فِي الآخِرةِ مَا هُو أَعْظَم مِن ذَلِكَ: الرَّحم والحَيَاء وَعِي اللِّسان»[2].

قال عون بن عبد الله: ثلاث من الإيمان: الحياء والعفاف والعي، عي اللسان لا عي القلب، ولا عي العمل، وهن مما يزدن في الآخرة وينقصن من الدنيا، وما يزدن في الآخرة أكبر مما ينقصن من الدنيا[3]. وروي هذا مرفوعاً من

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢٠١٠)، وإسناده ضعيف جداً فيه عتبة بن السكن، قال الدارقطني: «متروك الحديث»، وقال البيهقي «واهٍ منسوب إلى الوضع». اهـ. لسان الميزان (٤/ ١٢٨).

(٢) تقدم أن المرسل من أقسام الحديث الضعيف.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ١٤٢، ١٤٣)، وإسناده =

وجه ضعيف[1].

وقال بعض السلف: إن كان الرجل ليجلس إلى القوم فيرون أن به عياً وما به عي إنه لفقيه مسلم.

فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدال والخصام، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة لم يكن عياً ولا جهلاً ولا قصوراً،

= صحيح.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢/ق ١١/ب) مختصراً وأبو نعيم في الحلية (٤/٢٤٨)، مطولاً وفيه المسعودي، وقد اختلط والراوي عنه يزيد بن هارون، وقد سمع منه بعد الاختلاط كما في الكواكب النيرات (ص ٢٨٧).

(١) أخرجه رستة عن عون بن عبد الله بلاغاً كما في فيض القدير (٣/٣٠٨)، وأخرجه الدارمي (١/١٢٩)، عن رجل من الصحابة بنحوه مع اختلاف يسير في الألفاظ وإسناده جيد، وورد أيضاً بلفظ مقارب من حديث قرة بن إياس أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٧/١٨١)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (١/٣١١)، والطبراني في الكبير (١٩/٢٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣/١٢٥)، وإسناده ضعيف، قال الهيثمي في المجمع (٨/٢٧) «وفيه عبد الحميد بن سوار وهو ضعيف». اهـ.

وإنما كان ورعاً وخشية لله واشتغالاً عما لا ينفع بما ينفع.

وسواء في ذلك كلامهم في أصول الدين وفروعه، وفي تفسير القرآن والحديث، وفي الزهد والرقائق والحكم والمواعظ، وغير ذلك مما تكلموا فيه.

فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى، ومن سلك غير سبيلهم ودخل في كثرة السؤال والبحث والجدال، والقيل والقال فإن اعترف لهم بالفضل وعلى نفسه بالنقص كان حاله قريباً.

وقد قال إياس بن معاوية: ما من أحد لا يعرف عيب نفسه إلاَّ وهو أحمق، قيل له: فما عيبك؟ قال: كثرة الكلام[1].

وإن ادعى لنفسه الفضل ولمن سبقه النقص والجهل فقد ضل ضلالاً مبيناً وخسر خسراناً عظيماً.

وفي الجملة ففي هذه الأزمان الفاسدة إما أن يرضى الإنسان لنفسه أن يكون عالماً عند الله أو لا يرضى إلاَّ بأن يكون عند أهل الزمان عالماً فإن رضي بالأول فليكتف بعلم الله فيه. ومن كان بينه وبين الله معرفة اكتفى بمعرفة الله إياه.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢٤) بإسناد لا بأس به.

ومن لم يرض إلاَّ بأن يكون عالماً عند الناس دخل في قوله ﷺ: «مَنْ طَلَبَ العِلم لِيُبَاهي بِهِ العُلَمَاء، أو يُمارِي به السُّفَهَاء أو يَصْرِف بِهِ وُجُوه النَّاسِ إِلَيْهِ فَلْيَتَبَوَّأ مقعده مِن النَّارِ»(١).

(١) شطر الحديث الأول أخرجه الترمذي (٢٦٥٤)، والعقيلي في الضعفاء (ق ١٨/ب)، والطبراني في الكبير (١٩/ ١٠٠)، وابن حبان في المجروحين (١/ ١٣٣، ١٣٤)، والآجري في الأخلاق (ص ٨٥، ٨٦)، والحاكم (١/ ٨٦)، والبيهقي في الشعب (١/ق ٣١٠/ب)، والخطيب في الجامع (١/ ٢٣)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٨٦) من حديث كعب بن مالك، وقال الترمذي «غريب» قلت: وإسناده ضعيف لضعف إسحاق بن يحيى لكن له شاهد من حديث ابن عمر بنحوه أخرجه ابن ماجه (٢٥٣)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٣٧): «هذا إسناد ضعيف لضعف حماد بن عبد الرحمن وأبي كرب»، ويشهد له حديث جابر الذي مضى (ص ٧٩)، وأما الشطر الأخير فقد ورد من حديث ابن عمر، أخرجه الترمذي (٢٦٥٥) وحسنه، وابن ماجه (٢٥٨)، والآجري في الأخلاق (ص ٨٤)، وإسناده منقطع خالد بن دريك لم يسمع من ابن عمر كما في جامع التحصيل (ص ٢٠٥)، وقد دمج المصنف رحمه الله الحديثين مما يوهم القارىء أنهما حديث واحد وليس كذلك.

قال وهيب بن ورد: رب عالم يقول له الناس عالم وهو معدود عند الله من الجاهلين[1].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَـن تَسْعَر بِـهِ النَّـار ثَلاثَة، أَحدهم مـن قَرَأَ القرآن وتعلـم العلـم ليقـال هـو قـارىء وهـو عالم، ويقال له: قـد قيـل ذلك، ثُمَّ أُمِرَ به فيسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[2].

فإن لم تقنع نفسه بذلك حتى تصل درجة الحكم بين الناس، حيث كان أهل الزمان لا يعظمون من لم يكن كذلك ولا يلتفتون إليه، فقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وانتقل من درجة العلماء إلى درجة الظلمة، ولهذا قال بعض السلف: لما أريد على القضاء فأباه: إنما تعلمت العلم

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٥٧)، وإسناده ضعيف فإن فيه عبيد الله بن محمد بن يزيد، قال الحافظ فيه وفي أبيه مقبول يعني إذا توبع وإلاَّ فلين.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢١، ٣٢٢)، ومسلم (٣/ ١٥١٣، ١٥١٤)، والنسائي (٦/ ٢٣، ٢٤) تم تخريج أحاديث هذه الرسالة النافعة وصلى الله على النبي الأمي وآله وسلم.

لأحشر به مع الأنبياء لا مع الملوك. فإن العلماء يحشرون مع الأنبياء والقضاة يحشرون مع الملوك.

ولا بد للمؤمن من صبر قليل حتى يصل به إلى راحة طويلة، فإن جزع ولم يصبر فهو كما قال ابن المبارك: من صبر فما أقل ما يصبر، ومن جزع فما أقل ما يتمتع.

وكان الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ ينشد:

يا نفس ما هي إلاَّ صبر أيام
كأن مدتها أضغاث أحلام
يا نفس جوزي عن الدنيا مبادرة
وخل عنها فإن العيش قدام

فنسأل الله تعالى علماً نافعاً، ونعوذ به من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع.

اللهم إنَّا نعوذ بك من هؤلاء الأربع، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

• • •

فصل

ليتدبر ما ذم به الله أهل الكتاب من قسوة القلوب بعد إتيانهم الكتاب، ومشاهدتهم الآيات كإحياء القتيل المضروب ببعض البقرة. ثم نهينا عن التشبه بهم في ذلك فقيل لنا: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد: ١٦].

وبين في موضع آخر سبب قسوة قلوبهم فقال سبحانه: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣]، فأخبر أن قسوة قلوبهم كان[١] عقوبة لهم على نقضهم ميثاق الله وهو مخالفتهم لأمره وارتكابهم لنهيه بعد أن أخذت عليهم مواثيق الله وعهوده ألا تفعلوا ذلك ثم

---

(١) وفي (ض) والمطبوعة: «كانت».

قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ[1] وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، فذكر أن قسوة قلوبهم أوجبت لهم خصلتين مذمومتين:

إحداهما: تحريف الكلم من بعد مواضعه.

والثانية: نسيانهم حظاً مما ذكروا به. والمراد تركهم وإهمالهم نصيباً مما ذكروا به من الحكمة والموعظة الحسنة، فنسوا ذلك وتركوا العمل به وأهملوه.

وهذان الأمران موجودان في الذين فسدوا من علمائنا لمشابهتهم لأهل الكتاب:

أحدهما: تحريف الكلم، فإن من تفقه لغير العمل يقسو قلبه فلا يشتغل بالعمل، بل بتحريف الكلم وصرف ألفاظ الكتاب والسنَّة عن مواضعها، والتلطف في ذلك بأنواع الحيل اللطيفة من حملها على مجازات اللغة المستبعدة ونحو ذلك.

والطعن في ألفاظ السنن حيث لم يمكنهم الطعن في ألفاظ الكتاب. ويذمون من تمسك بالنصوص وأجراها على

---

(١) وفي (ش) «من بعد»! وهو تحريف عجيب.

ما يفهم منها ويسمونه جاهلاً أو حشوياً. وهذا يوجد في المتكلمين في أصول الديانات، وفي فقهاء الرأي وفي صوفية الفلاسفة والمتكلمين.

والثاني: نسيان حظ مما ذكروا به من العلم النافع فلا تتعظ قلوبهم، بل يذمون من تعلم ما يبكيه ويرق به قلبه ويسمونه قاصاً.

ونقل أهل الرأي في كتبهم عن بعض شيوخهم: أن ثمرات العلوم تدل على شرفها، فمن اشتغل بالتفسير فغايته أن يقص على الناس ويذكرهم ومن اشتغل برأيهم وعلمهم فإنه يُفتي ويقضي ويحكم ويدرس، وهؤلاء لهم نصيب من الذين: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

والحامل لهم على هذا شدة محبتهم للدنيا وعلوها، ولو أنهم زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة، ونصحوا أنفسهم وعباد الله لتمسكوا بما أنزل الله على رسوله، وألزموا الناس بذلك، فكان الناس حينئذٍ أكثرهم لا يخرجون عن التقوى، فكان يكفيهم ما في نصوص الكتاب والسنة، ومن

خرج منهم عنهما كان قليلاً، فكان الله يقيض من يفهم من معاني النصوص ما يرد به الخارج عنها إلى الرجوع إليها. ويستغني بذلك عما ولدوه من الفروع الباطنة[1]، والحيل المحرمة التي بسببها فتحت أبواب الربا وغيره من المحرمات، واستحلت محارم الله بأدنى الحيل كما فعل أهل الكتاب.

وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل[2].

• • •

---

(١) وفي (ض) و(ع) و(ف): «الباطلة».

(٢) وفي (ش) و(ف): كتب الناسخ:

يلوح الخط في القرطاس دهراً وكاتبه رميم في التراب

خرجت من التراب بغير ذنب وعدت مع الذنوب إلى التراب

حشرنا الله في زمرة أوليائه في دار كرامته بمنه وكرمه أمين.

الفهارس

(١) فهرست الآيات القرآنية .
(٢) فهرست الأحاديث النبوية .
(٣) فهرست الموضوعات .

(١)

فهرست الآيات القرآنية

الآيــة	السورة/ رقم الآية	الصفحة
﴿قالوا سبحانك. . .﴾	البقرة/ ٣٢	٣٤
﴿ويتعلمون ما يضرهم. . .﴾	البقرة/ ١٠٢	٣٥
﴿شهد الله أنه لا إلَه إلاَّ هو. . .﴾	آل عمران/ ١٨	٣٣
﴿فبما نقضهم ميثاقهم. . .﴾	المائدة/ ١٣	٩٢، ٩٣
﴿فخلف من بعدهم خلف. . .﴾	الأعراف/ ١٦٩	٣٤
﴿واتل عليهم نبأ. . .﴾	الأعراف/ ١٧٥	٣٤
﴿ويسألونك عن الروح. . .﴾	الإسراء/ ٨٥	٥٩
﴿هل اتبعك على أن تعلمن. . .﴾	الكهف/ ٦٦	٣٤
﴿وقل رب زدني علماً. . .﴾	طه/ ١١٤	٣٣
﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا. . .﴾	الروم/ ٧	٣٥
﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾	فاطر/ ٢٨	٣٤، ٧٢
﴿قل هل يستوي الذين يعلمون. . .﴾	الزمر/ ٩	٣٣
﴿فلما جاءتهم رسلهم. . .﴾	غافر/ ٨٣	٣٥

الآيـــة	السورة/ رقم الآية	الصفحة
﴿ما ضربوه لك إلاَّ جدلاً . . .﴾	الزخرف/ ٥٨	٥٨
﴿وأضله الله على علم. . .﴾	الجاثية/ ٢٣	٣٤
﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم. . .﴾	الحديد/ ١٦	٩٢
﴿مثل الذين حملوا التوراة. . .﴾	الجمعة/ ٥	٣٤

● ● ●

(٢)

فهرست الأحاديث المرفوعة

طرف الحديث	الصفحة

(أ) الأحاديث القولية:

«احفظ الله يحفظك...»	٧٥
«إذا ذكر أصحابي فأمسكوا...»	٥١
«اللهم انفعني بما علمتني...»	٣٩
«اللهم إنا نسألك إيماناً دائماً...»	٣٩
«اللهم إني أسألك علماً نافعاً...»	٣٨
«اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع...»	٣٥
«اللهم إني أعوذ بك من هؤلاء الأربع...»	٣٧
«إن الله كره لكم ثلاثاً...»	٦٣
«إن الله لم يبعث نبياً إلا مبلغاً...»	٦٣
«إن الله ليبغض البليغ...»	٦٤
«إن أول من تسعر به النار ثلاثة...»	٩٠
«إن من البيان سحراً...»	٣٩، ٦٤

طرف الحديث	الصفحة
«إن من البيان لسحراً. . .»	٤٠
«إنما أهلك من كان قبلكم. . .»	٥٢
«إياك والنظر في النجوم. . .»	٥١
«البيان من الله والعي من الشيطان. . .»	٨٦
«تعرف إلى الله في الرخاء. . .»	٧٦
«تعلموا من أنسابكم. . .»	٤٣
«تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا. . .»	٤٣
«ثلاث من الإيمان. . .»	٨٦
«ثلاث ينقص بهن العبد. . .»	٨٦
«جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة. . .»	٦٧
«الحياء والعي شعبتان. . .»	٨٥
«سلوا الله علماً نافعاً. . .»	٣٨
«علم لا ينفع وجهالة لا تضر. . .»	٤١
«العلم ثلاثة ما خلاهن. . .»	٤٢
«العلم ثلاثة وما سوى ذلك. . .»	٤٢
«العيافة والطيرة. . .»	٤٦
«فضلت على الأنبياء بست. . .»	٦٣
«ما ضل قوم بعد هدى. . .»	٥٨
«من اقتبس شعبة من النجوم. . .»	٤٥
«من طلب العلم ليباهي به العلماء. . .»	٨٩
«المراء في القرآن كفر. . .»	٥٢

طرف الحديث	الصفحة
«ولا يزال عبدي يتقرب إلي...»	٧٤
«ولئن دعاني...»	٧٤
«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة...»	٤٨
«لا تعجل فإن أبا بكر أعلم...»	٤٩
«لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء...»	٧٩
«لا يزال أمر هذه الأمة موافياً...»	٥٠

(ب) الأحاديث الفعلية:

«إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثاً لو عده...»	٦٤
«كنت أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً...»	٦٥

● ● ●

(٣)

فهرست الموضوعـات

الموضوع	الصفحة
المـقـدمـة	٥
العلم النافع الذي أشار إليه القرآن الكريم	٣٣
سؤال الله علماً نافعاً والتعوُّذ من العلم الذي لا ينفع	٣٥
الفرق بين علم التأثير، وعلم التيسير	٤٥
إنكار السلف على من توسع في علم النجوم	٤٧
النهي عن الخوض في القدر	٥٠
المذهب الصواب في باب الأسماء والصفات	٥٦
ذم الخصام والجدال والمراء	٥٨
كلام السلف وما يشتمل عليه من الفقه	٦٠
الدخول في متاهات الفلاسفة وعاقبته	٦٩
ما يدل عليه العلم النافع	٧٢
علامة العلم الذي لا ينفع	٧٩
مكانة السلف ومعرفة قدرهم	٨٣
فصل: في تدبر حال أهل الكتاب	٩٢

٣٠ / ٢ / ١ / ١٦